٥٢٤

524

داوم. النحاس

قلوب عبير

HARLEQUIN

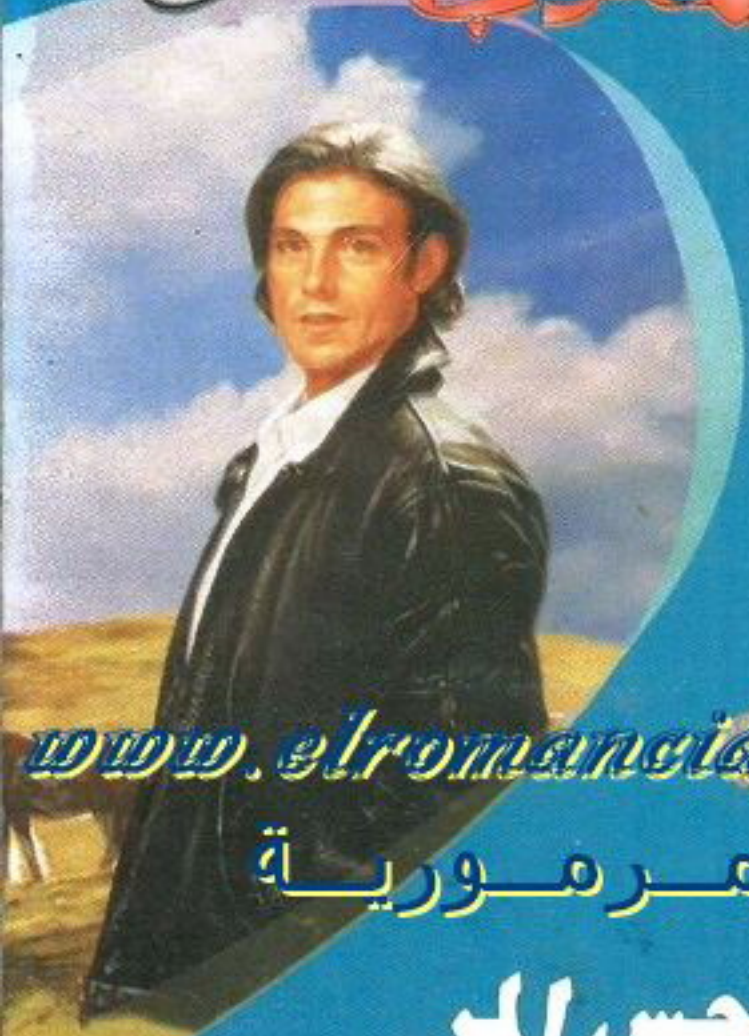

www.elromancia.com

مرمورية

الهاجس المر

جيني كارترايت

الهاجس المر

جيني كارترايت

كونها متعقلة، وذات مهنة واعدة، ومتمكنة من ذاتها، استطاعت روزي أن تستجمع نفسها وتتخلص من افتتانها بجاك هيلاك. وعلى اية حال، لا شك أن هذا الافتتان كان الدافع الوحيد وراء الزواج المبكر والمتسرع. لكن، فجأة، يظهر جاك مجدداً، وهو ينوي جعل زواجه من روزي أمراً علنياً، ناهيك عما هو اسوأ، ادعاؤه بأنه ما زال متيماً بها ومصمماً على ايقاعها من جديد في حبه!

الهاجس المر

جيني كارترايت

هزت روزي رأسها بهدوء، وقالت باصرار: «لا يا جاك.»

لكنه أمسك بمرفقها وحدق بعينيها. وقال: «ما زلت أحبك يا روزي.» كان صوته مشحوناً، ناعماً وخطيراً، بقدر ما كانت عيناه ثم أضاف: «رغم كل شيء فأنا ما زلت اريدك. لذا سأتعقبك من جديد، بدءاً من هذه الليلة.»

«جاك، أنت لا تريدني حقاً. ليس بوسعك...»

«آه، لكني اريدك.»

جيني كارترايت

جيني كارترايت، ولدت وترعرعت في ويلز، وبعد تمضية ثلاث سنوات في إحدى جامعات مدينة كنت، وسنة في اميركا، رجعت إلى ويلز حيث عاشت وعملت منذ ذلك الحين. بعد زواج سعيد رزقت بثلاثة اطفال... فتاة وصبيين... وبدأت تطلق العنان لفكرة الكتابة التي راودتها طيلة حياتها، وتحديداً حين كان توأماها صغيرين في السن. لذا، فان السكينة التي كانت تتمتع بها اثناء عزلتها الابداعية لرواياتها العاطفية، تتناقض بالكامل مع جلبة وصخب حياتها العائلية اليومية.

٥٢٤

khouloub Abir 524

الهاجس الممر

جيني كارترايت

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

BITTER POSSESSION

Copyright © by Jenny Cartwright 1993

ISBN 0-263-78267-0

Mills & Boon first edition October 1993

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٥

عنوان الطبعة العربية

الهاجس المر بقلم جيني كارترايت

ترجمة: سمير سالم

سلسلة قلوب عبير ٥٢٤

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لمؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: مؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت - لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٤٧١٨ - تلكس ٨٦٦٤٩٩ - هاتف: ٨٦٦٤٩٨ - ٨٦٥٢٧١. سجل تجاري: ٧٥١٠ - بيروت. تسجيل العلامات التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٢٩

عزيزي القارىء

مع مطلع عام ١٩٩٤، انضمت الى سلسلة عبير، سلسلة جديدة بعنوان قلوب عبير. ويسرنا أن ننشر هذه السلسلة بغية ارواء شغفك للقراءة وحبك لمطالعة أدب بات الأدب الأكثر رواجاً في عالم اليوم.

ونحن، إذ ننشر اليوم هذه السلسلة الجديدة، نعدك دوماً وكسابق عهدنا، بانتظام اصداراتنا من قلوب عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء، أن طبعة قلوب عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجديد والتنويع...

الناشر

الفصل الأول

لم يحصل لها ذلك منذ عامين. في السابق اعتادت ان تنجذب عيناها وراء ذلك الخيال، ذلك الشيء الذي يبدو لوهلة ظلا داكنا لرأس... يعلو رؤوس المحتشدين بضع بوصات. عندها تصاب بالظمأ، ويخفق فؤادها على ايقاع مرتعب لترتد على اعقابها مهرولة بالاتجاه المعاكس. ولحسن الحظ، فهي بعد مرور كل هذا الوقت، لم تعد تحس بخوفها المعهود. في الواقع، كانت قد اقنعت نفسها: يستحيل ان يكون هو القابع في تلك السيارة وخصوصاً بعد مضي أربعة اعوام، وتحديداً في دوركستر.

كان جالساً وراء مقود سيارة حين شاهدته للمرة الأولى. لم تكن حينئذ تلك السيارة السوداء الداكنة لرجل الأعمال، بل كانت سيارة رياضية جداً، تضم مقعدين من النوع القلاب بلون اصفر داكن وغطاء بلون أزرق جاف، كانت تنساب لاصقة بالأرض، متكئة على عجلاتها العريضة، تبعثر الحصى بكل الاتجاهات، فيما تستدير بقوة عند ناصية الطريق.

كانت روزي منحنية على الأرض، منصرفة لازالة الاعشاب الضارة من قبالة المنزل، حين اجتاحت السيارة ـ أو على نحو ادق، سائقها ـ وعيها في تلك الأمسية الحارة من شهر تموز ـ يوليو. كانت نظرة خاطفة من الجالس على مقعد السائق كافية لترسل احمراراً تورد في وجنتيها. كان

ذاك بمثابة الرجل الأكثر جاذبية من بين كل من رأتهم في حياتها. لقد اندفع في الطريق الموازي لبيتها مركزاً ناظريه عليها. نفضت قاذورات الأرض عن يديها ووضعتهما في الجيوب الخلفية لبنطالها.

قال لها بصوت خفيض: «مرحباً.» فاتحاً باب السيارة مدلياً أولاً بساق مردفاً اياها بالثانية. كان يرتدي سروالاً من الغبردين الزيتوني اللون وقميصاً قطنياً أزرق. وبمنظر شعره الداكن، الكثيف المصفف لخلف جبهته وسحنته السمراء الضاربة للصفرة، بدا امثولة للاناقة المتألقة.

ردت روزي مضطربة: «أهلاً...» وحاولت الا تقع عيناه على قميصها الوردي الرديء المتسخ ببقع الأعشاب، وبنطالها المهترىء. قد يكون مظهرها على هذا النحو ساعتئذ وليد الصدفة، لكنه، بكل تأكيد لم يكن أنيقاً على الاطلاق.

حين راح يسير باتجاهها، استجمعت نفسها واقفة على قدميها، ومتلهفة بأن لا يبدو الفارق بينهما كبيراً، ولماذا عليها ان تأبه لذلك إذا كان ما فكر به يتجاوز وعيها؟ لكن الأشياء لم تكن على هذا النحو. وفي الواقع كانت المشكلة تكمن بأنها بالكاد تقارب العشرين... بل ستبلغها بعد شهرين... غادرت المدرسة منذ بضعة أسابيع فقط، وما زالت تعيش كبقية فتيات المدارس أحلام اللقاء بأحد الأغراب، الحسن المظهر، صاحب القامة الفارعة والبشرة السمراء، يا لسخافة تلك الفكرة... كانت تعي ذلك تماماً... وخاصة انه يقارب الثلاثين على الأقل، وربما اتى لمشاهدة والدها لغرض ما.

وفيما كان يمشي الهوينا نحوها، قال: «انني تائه منذ وقت وأنا أبحث عن الطريق المؤدي إلى دوركستر، لكنني درت حول هذه الأزقة لما يبدو ساعات.»

وجدت روزي نفسها تتمنى لو تهب عاصفة ثلجية عاتية ليتسنى لها ان تومىء له بالدخول إلى المنزل وتقدم له حساء ساخناً.

قالت حائرة وكأنها لم تسمع قط بهذا المكان: «آه... دوركستر.» وعندها استجمعت قواها مرة واحدة لتضيف بسرعة: «انه لجد سهل، الآن، تنعطف لليسار من ذلك الطريق وتسير مسافة قصيرة ومن ثم، هناك منحنى لليمين. اعتقد انها الأولى، ما لم تتجاوز الطريق المؤدية إلى مزرعة هايواردز، لكن لا بد وأن جسراً مرتفعاً بعض الشيء عقب الطريق التي تبحث عنها. لا بد وأن تتيقن انك اتجهت في الاتجاه الخاطىء إذا ما تجاوزت المبنى العالي هناك.»

رفع يديه كمن يذود عن نفسه، باسطاً راحتيه باتجاهها وقال: «تمهلي... انتظري دقيقة.»

«أنا آسفة. أليس بوسعك متابعة ما أقول؟ انني لست خبيرة بالإرشاد إلى العناوين والاتجاهات، انني متخوفة. المشكلة انني امضيت عمري هنا وأعرف الأماكن دون الحاجة للتفكير بذلك. دعني الآن أشرح ذلك بكلمات... إذا كنت تفهم ما اعني.»

ابتسم ابتسامة باهتة لا تخلو من المرح، جعلت عيناه الزرقاوان تتراقصان.

ردّت بصوت عال وبوحي من فكرة خالجتها للتو: «أوه،

أنا أعرف ما يجب عمله!! سآتي معك لأرشدك إلى الطريق. وبهذا سيسهل الأمر.»

ربما كان في قرارة نفسه يتوسل مثل هذا العرض محتفظاً بلباقة بابتسامته الحسنة. لكن لماذا؟ فرجل باناقته وجاذبيته بالكاد يهتم بفتاة مثلها، هي تعي ذلك، ولا تنخدع بنفسها. لكنها على الأقل ستعيش فرحة الركوب إلى جانبه، جانب رجل مثله في سيارة رائعة كهذه وفي يوم كذلك اليوم. ستكون مناسبة ممتعة لتمضية الوقت، وهو لن يكون الدليل بحال من الأحوال. ما من اذية يمكن أن تلحق بها قط.

سألها بدوره: «وكيف ستعودين؟»

«سأستقل حافلة. على كل حال أنا بحاجة للذهاب إلى البلدة. يتحتم عليّ شراء بعض الحاجيات.»

نبهها بابتسامة ساخرة. «ألم يحذرك أحد من الصعود مع اغراب.»

أجابت عابسة: «لقد كنت مصابة بوجل شديد، من حدوث هذا، بوسعك سؤال أيّا كان بالجوار... وهم سيؤكدون ذلك. على كل حال، لقد دعوت نفسي بنفسي. وعليه فالأمر سيان.»

ضحك بصوت منخفض: «أو أنك لا تخبري أحداً إلى أين أنت ذاهبة؟»

هزت روزي كتفيها لا مبالية: «هناك أبي وحده. وهو سيغضب كثيراً إذا ما ضايقته. انه يعمل كالمجنون محاولاً انهاء عمل كلفوه به في آخر لحظة. على كل حال، سيغادر إلى اوستراليا بعد يوم أو أكثر. وعندها سأنصرف لشأني كلياً. وهو لن يبالي.» كان والدها يثق بها وبرجاحة عقلها.

على أية حال، لديها عدد وافر من صديقات المدرسة القدامى، ويمكن أن تمكث معهن إذا ما شعرت بالضجر.

كونها لا تتعدى الخمسة اقدام وست بوصات، فقد استطاعت ان تبدو وكأنها لا تتعدى الأحد عشر ربيعاً. كان شعرها البني الحريري الطويل ينساب إلى الخلف مكوناً ضفيرة سميكة، مثبتة بقطعة خضراء اللون. كان شعرها المنهمر حول جبهتها المستديرة، مليئاً بخصلات الشعر المتمردة.

ازاحت خصلتها المزعجة بنفخة بعد أن قلبت شفتها السفلى لتفعل ذلك. وشرحت له محاولة ان تقنعه بأنها أكبر سناً مما تبدو دون أن تنطق بذلك: «أنا اروح وأجيء كما يحلو لي. اغادر منزلي في تشرين أول - اكتوبر، سأنتقل إلى الجامعة. كان يتوجب عليّ الذهاب السنة الماضية، لكني في الحقيقة امضيت سنة اضافية في المدرسة.» والقت ابتسامة عريضة آملة أن تكون طريقتها قد وفت بالقصد المطلوب.

والابتسامة التي كشفت عن أسنان ناصعة البياض، انتقلت مباشرة إلى العيون العسلية الداكنة الكبيرة التي حددت معالم وجهها الملوح بالشمس. وروزي، بعينيها الداكنتين، ورقبتها الممشوقة، وقدها الاهيف، مازالت تملك بسنيها التسعة عشر... لسوء حظها... يناعة وجمال الطفولة البريئة.

لكنه تردد مع ذلك: «أليس هناك شخص آخر؟»

تطلعت إليه مندهشة. ألم يصدقها؟ فقالت: «لا. لقد رحلت امي.»

قطب وجهه أكثر. آه، يا للهول!! هل جعلت ذلك يبدو كأن أمها قد توفيت؟ بدا ذلك مروعاً.

أضافت بوجه ساطع: «هه، انها لم تعد هنا. لقد ذهبت بعيداً، إلى بلد آخر. لقد تزوجت من جديد. انها سعيدة جداً. سعيدة بكل معنى الكلمة. انها سعيدة إلى ما لا يتصوره عقل.»

تابع تفحصه لها من خلال العينين الزرقاوين اللتين تنمان عن ذكاء حاد، ولمعت فيهما نظرة، وقال: «حسناً. إذا كنت سترافقينني لترشديني إلى الطريق، فهلم نأخذ مقاعدنا. أنا جاك، جاك هيلاك.»

قالت روزي متنهدة وهي تعض على شفتها لتمنع نفسها من اطلاق ابتسامة فاضحة: «روزي ويلز.» جاك.. آه، انه اسم يليق به. جاك هيلاك. أجل. واطلقت على الفور ابتسامة خاطفة لتندفع نحو السيارة كي لا تعطيه فرصة العدول عن قراره.

أصبحت على وشك فتح الباب الأيمن حين اندفعت يده لتعترضها. يبدو أنه عاد عن قراره بعد كل شيء!

قال لها بجدية: «اعذريني يا روز...» وأشار إليها كي تنفض الغبار عن بنطالها. «هكذا أفضل.»

تذكرت عندها كيف مررت يديها الغارقتين بالوحل على بنطالها وأدركت ما كان يعنيه. وأحست بوجهها يشع باحمرار الخجل.

اصبحا عند منتصف الطريق إلى دوركستر قبل أن تجرؤ على الالتفات لالقاء نظرة جديدة عليه. كان الهواء العليل يطاير شعره إلى الوراء. لاحظت ان خيوطاً رمادية بدأت

تنتشر هنا وهناك ضمن شعره الداكن. لم تكن مجرد خيوط شيب واضح، كان يبدو من خلاله انساناً ذو خبرة.

وبمجرد وصولهما إلى وسط البلدة تذكرت انها لا تحمل معها اية نقود. ادخلت اصابعها الطويلة خلسة في جيبها الأول واتبعتها بالثاني متلهفة للعثور على قطعة نقود منسية. لكن، عبثاً. بالطبع، اختار هو لحظة التوقف في رتل السيارات ليسترق النظر إليها.

«ما الخطب يا روزي؟»

«لا شيء.»

«تبدين مضطربة.»

«هل ابدو كذلك حقاً؟ يبدو انني ورثت عن اسلافي شعوراً بالترقب. فالناس عادة ما يقولون اني مضطربة بينما أنا على مايرام.»

«لا تحملين اية نقود، أليس كذلك؟»

«آه... حسناً...»

«هيا. اعترفي بذلك.»

«الحقيقة انها، لا اهمية لذلك. لدّي صديقة من المدرسة، كاتي، والدها يمتلك محل بقالة. ان لم اجدها، سيكون السيد بينز في المحل بالتأكيد، وسيقرضني بعض المال.»

كانت السيارة تخترق الطرق العتيقة لسوق البلدة القديم، اشار جاك إلى قاعة جميلة لاحتساء الشاي في الطرف المقابل من الشارع، وقال بصوت حازم ناظرا إلى ساعة السيارة: «سأراك هناك عند الخامسة والنصف. اذا ما وصلت أولاً فاطلبي شيئاً لك. وعند وصولي اسدد الحساب. وسأقلك في طريق العودة للمنزل.»

www.elromancia.com

«في الواقع، أنا بخير. بكل صدق، أنا أعرف مئات الأشخاص في دوركستر، و...»

«الخامسة والنصف. هذا أمر.»

أومأت روزي برأسها علامة القبول على مضض. فكل ما كانت تشتهيه هو نزهة قصيرة في ذلك اليوم المشمس، وتحديداً، في سيارة رياضية مكشوفة برفقة زائر، فارع القامة، اسمر اللون، حسن المظهر. لم يكن ذلك يعني في تفكيرها الصبياني اكثر من مجرد دعوة. وذلك امر لا يخلو من المغامرة. لم تكن ترغب أن تسبب له كل هذه المتاعب وتضطره لاعادتها إلى منزلها. آه يا لها من شقية.

عاد في اثرها بعد دقائق معدودة. وقد اضحى اكثر لفتا للانتباه بعد ان ارتدى بذلة وربطة عنق. لم تكن قد طلبت شيئاً لأنها لم تشأ فرض الأمر. ابدى علامة عدم الرضى حين عرف سبب فعلتها، وراح يطلب شاياً وكعكاً لهما.

قال: «اخبريني عن نفسك.» وهو يكسر كعكة ويدهنها بالزبدة.

«ماذا تريد ان تعرف؟»

هز كتفيه استهجاناً واستوى على مقعده محدقاً في عينيها: «لست أدري، لماذا امضيت سنة اضافية في المدرسة؟»

«حسناً، ليس بسؤال تسهل الإجابة عليه. أنا... اعدت السنة الخامسة لاستريح.»

«لكنك لست مغفلة. كان لديك مقعداً في الجامعة، بعد كل هذا.»

«آه... أجل. لكن. حسناً، كان عليّ أن اتغلب على بعض المشاكل تلك السنة. مشاكل عائلية.»

«آه، لا بد أنها أمك التواقة دائماً للسعادة، كما يخيل إليّ.»

ارتدت روزي بعنف. كانت تكره تناول هذا الموضوع في احاديثها. فقد مرت بلحظات عصيبة. تعلّمت تقبّل الوضع كما هو عليه، رغم أنه ليس باليسير بالنسبة لها. لقد أغرمت والدتها برجل آخر. امها التي طالما احبتها ووضعت فيها كل ثقتها.

أجابت روزي: «أجل. شيء من هذا القبيل. على كل حال، ما كان لي أن أدمر مستقبلي بسبب محنة عابرة. لذلك اعدت سنتي الدراسية. كان ذلك رائعاً في الحقيقة، لأنني تعرفت على فتيات السنة التالية واقمت صداقات جديدة. الا يبدو سخيفاً ان الناس لا يبنون صداقات جديدة لأن الآخرين يصغرونهم سناً أو... العكس. انتهت الأشياء على هذا النحو في مدرستي... كاتي بينز، فتاة الحانوت - بالكاد كنت أحدثها في السابق والآن تجمعنا صداقة حميمة.»

لم يبح بشيء بعد كل هذا، لا في قاعة الشاي ولا في السيارة. بكل تأكيد لم يطلب منها ان تروي المزيد عن نفسها. كان بمقدروها ان تخبره بأشياء كثيرة تبدو اكثر نضجاً، مثل اهتمامها بالتاريخ ومشاريعها لترتيب الحديقة. كانت مفاجأة لها حين اندفع لناحية الطريق وغادر السيارة معها إلى البيت.

«هل يمكنني إلقاء نظرة على نفسي.» قالت ذلك وهي مقتنعة بأنه يعتبرها مغفلة بالكامل.

أجابها: «سأدخل وانتظرك. بوسعك تبديل ملابسك،

وسأقلك معي إلى الفندق لتناول وجبة طعام سوية.»

انفرجت عينا روزي، وقالت بدهشة: «هذا لطف كبير منك، لكنك لست مرغماً على ذلك. لقد سببت لك ما يكفي من المتاعب.»

رد عليها بلطف وتهذيب مطلقاً ابتسامة مشجعة: «سيكون ذلك مدعاة سرور لي.»

شعرت روزي نفسها مصابة بالخذلان والانفعال وهي تشق دربها عبر الدارة الفسيحة ذات الطراز الفيكتوري باتجاه غرفة الجلوس. كان والدها مازال في الاسطبلات القديمة، يجمع بقايا كتل الحجارة، فيما اغتنمت خادمة المنزل مناسبة سفر والدها الوشيك لتمضي قسطاً من نصيبها في العطلة. وحين كانت مندفعة صاعدة السلالم لتبديل ملابسها، تنبهت إلى انه كان من المستحسن ان تقدم لجاك عصيراً يتناوله بدلاً من تركه وحيداً. ترددت للحظة. هل تعود ادراجها؟ لا، من الأفضل أن ترتدي ملابسها بسرعة. إذا ما تركت الوقت يمر فقد يعود عن نيته ويذهب.

وصلت إلى غرفة الجلوس لاهثة. كانت هيأتها تختلف عما بدت من قبل، فتاة صغيرة عابثة، وبدت بريئة بثوبها الابيض المتموّج، وشعرها المنسدل كالحرير على كتفيها حتى منتصف ظهرها.

قالت: «اعرف انه كان عليّ أن اقدم شيئاً قبل صعودي. لكن، هل ترغب بتناول شراب ما؟»

هز رأسه قائلاً: «لا، شكراً.» والقى نظرة على ساعته وقال: «لنذهب للتو. تبدين آية في الجمال.»

كان الاطراء مصحوباً بالابتهاج والسرور. كيف ستواجه

الوضع حين تنتقل لاحقاً إلى المعهد وفكرها متعلق برجل لا يأبه لها على الاطلاق؟

كان قد اخبرها في وقت سابق انه حضر إلى دوركستر لمدة اسبوعين بداعي العمل. وان صحبتها معه مستحسنة في الأمسيات الطويلة في فندقه بتلك البلدة الصغيرة الهادئة.

سارت الأمور نحو الأسوأ مع تقدم المساء، فعندما امسك بذراعها ليقودها نحو الطاولة شعرت بالاعياء يدب في جسمها. كانت لمسته لها رقيقة دافئة مما جعلها تسير الخيلاء. لقد ادركني الوهن. فكرت مرتبكة بينما راح ليأخذ موقعه قبالتها. للحظة خلت، فكرت انها كانت طفلة، والآن اصبحت امرأة.

استحوذ عليها هذا الشعور طيلة تناول الوجبة. كان احساساً رائعاً، احساساً بالترقب، شعوراً واعداً بالنهاية.

سألها مجدداً عن نفسها. ضحكت وعضت على شفتها واخبرته اشياء كثيرة. لكن هذه المرة اخفت عنه تلك الجوانب المؤلمة في حياتها. حدثها بدوره عن جده الفرنسي ـ الكندي وعن أعمال العقارات وعن نفسه... كونه بريطاني، لكن والده يعتزم السفر وكذلك هو. كي يتعلم مهنة رجال الأعمال بإتقان ليعود بعدها لتوسيع الشقين البريطاني والاوروبي من هذا النشاط. لم تعر روزي اذنا صاغية لكل هذا الكلام لأنها كانت منشغلة بمراقبته.

اقلها في طريق العودة للمنزل وعاونها على ركوب السيارة والترجل منها. احست بالسعادة لذلك. كان يكبرها سناً بأعوام عديدة. وخبرته كانت، بالطبع، اكبر.

حين همّ بتركها قال: «عليّ أن امضي يومين في لندن

لأنهي بعض الأعمال. لكن سأكون على اتصال معك.»

رغم ذلك، فإنها لم تشعر بالخيبة مرة اخرى. فما من مبرر لهذا الشعور طالما انه شخص تعرفت عليه للتو. وبمجرد انتهائه من عمله سيحضر لمشاهدتها مرة اخرى. كان هناك شيء مميّز في جو المساء المشحون ترك بصماته عليها بدون ادنى شك.

كان والدها بانتظارها ساعة عودتها إلى المنزل.

سألها وهو يمرر يده بلطف على ذقنه: «هل كنت بمكان ممتع؟»

أجابت: «هممم. آه، يا أبي! اعتقد انني مغرمة.»

ابدى والدها وجهاً، يعلوه البشر والسعادة، وقال: «حسناً فعلت.»

«اهذا كل ما لديك لتقوله لي؟»

ردّ بسرعة: «وماذا يفترض بي ان اقول؟»

«لا ادري. أنت الأب. يجب أن تعرف ماذا تقول حين تعود ابنتك للبيت وتخبرك انها وقعت في الغرام للمرة الأولى.»

«آه.» تطلع مندهشاً وقطب حاجبيه ليحك ذقنه مرة أخرى. وانطلق بريق من عينيه وقال بصوت مازح: «لا تنسي إذاً تناول حبات المهدىء.»

قالت غير راضية عن كلامه: «أبي! لا يفترض ان تقل لي هذا اطلاقاً. خاصة انك من اختار عودتي لهذا البلد. لا يمكنك أن تربي ابنة على هذا النحو المتزمت ثم تتفوه بمثل هذا الكلام. سأنتهي مجنونة، حقاً!»

اطلق نظرة كئيبة وقال: «حسناً يا روزي، تعالي هنا. اخبريني ماذا يجب أن اقول؟»

«أعتقد انه يفترض بك أن تسأل عن مواصفاته وعن كل ما يتعلق به.»

«لماذا؟ هل طلب يدك؟»

«لا. بالطبع لا. لقد رافقته مرة واحدة.»

«حسناً، إذاً...» ولف خاصرتها بذراعيه واضاف: «انها لمسألة جيدة ان تخبريني واجبي في تنشئتك. سنقع كلانا في ورطة، بدون بعضنا البعض. الا تظنين ذلك؟»

سحبت ذراعه من على خاصرتها بلطف. ستشتاق إليه حين يكون بعيداً، ومع ذلك فهي متعطشة لتذوق طعم الاستقلالية. كان عظيماً جداً معها حين رحلت والدتها وشقيقتها ايما. فقد وقف إلى جانبها بكل قوة، رغم المه. تحدث عنهما بكل رقة إلى حد ان روزي ظنت بأنه لم يدرك مدى قساوة ايما ونبذها له. لقد تحاشت تناول هذا الموضوع، حتى لا يزل لسانها وتكشف حقيقة مشاعر شقيقتها.

سألها والدها بصوت منخفض: «هل ستكونين على ما يرام حين اكون بعيداً؟»

«طبعاً. وأنت تعرف ذلك، فلماذا تسأل؟»

«آه، لا أدري. اتصور ان وقوعك في الحب قد يغير من شأنك.»

«عذر جيد. لا شك انك تمزح! هذا سيملأ فراغي فيما تكون بعيداً. وسيعني ايضاً انه لا حاجة بي لتقديمك إليه.»

«لماذا؟ هل سأكون حجر عثرة؟»

«بكل تأكيد. لقد اكتشفت للتو أنّ لدي حس مرهف. وعلى ما يبدو انه في البيوت ذات الحياة المتزمتة، يتوجب احضار

الشخص الذي احبه فعلاً وقت تناول الشاي وايام الآحاد تحديداً. وأنت عادة ما تكون يا والدي متأففاً ايام الآحاد، لا سيما وقت تناول الشاي. فأنت تكره البرامج الإذاعية لنهاية الأسبوع، بحجة انها تكسر الروتين وتمنعك من التركيز على عملك. انك تروح وتجيء ضارباً الأرض بقدميك ولا تكف عن صر اسنانك. أتذكر؟»

الفصل الثاني

حين عاد جاك بعد بضعة أيام كان يرتدي بذلة رمادية اللون. وكانت روزي في غرفتها، منهمكة بتصفيف شعرها.

«مرحباً.» قالت وهي تفتح له الباب، لتطلق كلمات الاعجاب: «تبدو عظيماً.»

قطب وجهه وقال: «يفترض ان هذا هو ذوقي في اختيار الملابس. إلا لو لم يرق لك.»

غرست أصابعها الحنطية الطويلة بشعرها وراحت تسحب المزيد من دبابيس الشعر الموضوعة بطريقة مميزة، لتطلق ابتسامة خفيفة.

نقلت يديها إلى مؤخرة رأسها وسحبت ما تبقى من دبابيس. واسدلت شعرها على كتفيها.

تنهدت مرتعدة: «كان ذلك عظيماً.»

«جيد. هكذا يفترض. الآن اذهبي وارتدي هنداماً مزرياً. فأنا عازم على أخذك في أمسية خاصة.»

رفعت نظرها إليه وهي شبه مصدومة لتقول: «مزرياً؟ أنا لا أجهد نفسي في البحث عن مثل هذه الملابس...»

لمعت العينان الزرقاوان قبالتها بمرح، وتمتم موبخاً: «ماذا تعتقدين انني عنيت؟ ثوب من الحرير القرمزي. ما الذي يجري بعقلك؟»

زمت شفتيها وقالت متنهدة: «بعقلي أنا... ماذا تعني بلباس مزري؟»

www.elromancia.com

ارتسم خطان على وجنتيه حين ابتسم مجيباً: «آه. فقط سروالاً ملطخاً ببقع وحل. قميصاً ورديا فضفاضاً مزيناً بآثار الأعشاب. أي كالجندي الذي يجرجر أذياله. أتفهمين ما أقصد. أي شيء لكن على صورة الشبح الموشى بالورود.»

تطلعت روزي بكآبة على فستانها. لقد اشترته من دوركستر يوم أمس، وهي على يقين أنه ليس مما ترتديه عادة. مع هذا تذكرت هذه المرة تزويده بكوب عصير قبل أن تهرع لتبديل ثيابها. لحسن الحظ، لقد أحسنت الصنيع هذه المرة على الأقل. نزلت السلم مرتدية سروالاً أزرق داكناً مع بلوزة مناسبة وحذاءً مزركشاً داكن الزرقة، وكلها أشياء ابتاعتها قبل التعرف عليه بفترة طويلة، اكتشفت انه لم يلمس كوبه.

نظر اليها باعجاب وتقدير وقال: «الآن تبدين أفضل بكثير.»

ركزت بصرها على الكوب وسألته بلهفة: «ألا تريده؟»

أظهر علامة استهزاء قائلاً: «عليّ أن اقر انه لا يتناسب وذوقي. ما هذا؟»

أجابته: «شاي مثلج بالليمون.» محاولة ألا تطلق ضحكة ساخرة من نفسها. عضت على شفتها لمنع ذلك دون أن تفلح. فالضحكة انطلقت من ثغرها كالفقاقيع.

سألها معاتباً: «ما المثير للضحك؟»

«هممم...» أحنت روزي رأسها وحكّت جبينها محاولة ما فيه الكفاية إمساك نفسها عن الضحك لمتابعة الحديث. وأشارت إلى كتاب شعر مجلّد على الأريكة: «أنا... آه...

حسناً، عليّ أن أعترف.» قالت في النهاية ونبرتها متهدجة: «لقد اشتريت الثوب وسرحت شعري واعددت الشاي المثلج لأترك فيك انطباعاً حول شخصيتي الباردة والحادة.»

«وما موقع الكتاب من كل هذا؟»

«كنت قد قصدت أن تلقاني أطالع حين وصولك. بخلاف هذا كان يفترض أن تلقاني تحت شجرة الزان مستلقية على كرسي وثير. لكنني لم أقم بشراء الكرسي حتى الآن، فأنا ما زلت أدخر.»

انطلقت عبر عينيه ابتسامة وقال: «هل كنت متأكدة انني آت؟»

أومأت برأسها ايجاباً.

عندها ضحك وأضاف: «في هذه الحال، فانك فعلاً تملكين مزاجاً بارداً وحاداً بخلاف مظهرك الخارجي.»

آه، حسناً، فكرت بحبور. ربما تروق له طبيعتها بعد كل شيء.

انطلقا بالسيارة إلى ويموث. خلع جاكتة بذلته وعلقه على كتفه. كان لها ان تشتم العطر الليموني الخفيف الذي يستعمله بعد الحلاقة. سارا على حافة الرصيف، يتطلعان إلى الدوائر التي تخلفها القوارب وراءها.

قال: «عليّ ان استأجر يختاً صغيراً لآخذك فيه بنزهة.»

المحت إلى ملابسها متفحصة وتنهدت ساخرة: «لقد سمعت عن لوازم تصميم الأزياء. لكن ألا تعتقد ان استئجار قارب يتناسب مع مظهري غير المألوف هو نوع من التمادي؟»

زارا في ما بعد أرض المعرض الموسمي حيث شجعها

على امتطاء أحد الجياد. وفي الختام حين بدأت عتمة الأيام الأخيرة من شهر تموز - يوليو تنتشر بالجو، سار بها إلى بحيرة راديو بول الفاتنة، حيث ارتفعت الشجيرات من حولهما كالغابة. وراحت طيور الماء تطلق نداءاتها الهوجاء من السهوب الكثيفة المغطاة بأعواد القصب والتي زنّرت كل ما حولهما. لم يكن موفقاً في اختيار تلك المحطة لنهاية يوم صيفي حار، إذ أن البعوض كان يقترب من أذنيها مما جعلهما يضحكان لذلك معاً.

أعاد الكرة في اليوم التالي والأيام التالية. وفي كل مرة كان يأتي فيها، كانت نبضاتها تتسارع، وتشعر بالبهجة والفرح وهي معه. كانت على يقين انها تغرق أكثر وأكثر بحب هذا الرجل، الذي كان قد ناهز الثلاثين والذي لا يعقل ان يشغف بفتاة مثلها. لم تطمح لأن يبادلها مشاعرها. يكفي انه يصحبها في نزهة شراعية ويجلب لها باقات الورود. كل هذا كان من تلك الأحلام التي تراودها، وهي على أية حال، ليست إلا يافعة لا مجال لها سوى الأحلام.

كان ذلك يوم سبت. لم يكن يرتدي بذلة وحضر بعد الغداء بدلاً من الوصول متأخراً مساء. كان الطقس جافاً. شرح لها جاك ان الرحلة بالسيارة كانت مقيتة.

قالت روزي بصوت عذب: «ذلك جيد. نحن لا نحتاج التوجه إلى أي مكان. هناك بحيرة في آخر حديقتنا. لا يمكنك مشاهدتها من المنزل بسبب الأشجار. تعال معي، سأريك.»

حملا الوسائد من المنزل وملآ بها القارب الطويل.

وحين ركزت نفسها على الوسائد، قالت متنهدة: «آمل ان

يعجبك لباسي الموشى بالورود، فهو والقبعة الفارهة على رأسي يعطياني صورة جميلة.»

استعمل العصا ليبعد القارب عن الضفة وتمتم قائلاً: «هذه الملابس تناسبك جداً كما أنها تعنيني.»

شعرت بقليل من التورد. لقد بدأت تألف معاني كلماته بأفضل من السابق.

أزاحت عينيها الداكنتين نحو وجهه، وانسابت الدموع على خديها. وقالت من غير ادراك: «أحبك جداً يا جاك، ولا أطيق نكران ذلك. هذه هي الحقيقة...»

وضع اصبعه على فمها ليمنعها من البوح بالمزيد، وقال بكل رقة: «أحبك...»

عاودت التعبير عن مشاعرها، هامسة بحنان: «آه، وأنا أحبك أيضاً.»

قال بصوت أكثر رقة: «أظن من الأفضل ان نتزوج، ألا تعتقدين؟»

فجرت كلماته فرحة كبيرة في صدرها فاجهشت بالبكاء. لم يحدث لها ان سمحت لذاتها بالتفكير بهذا الاحتمال أبداً. اغمضت عينيها على دموع السعادة.

كان هناك عمل ينتظره في الأيام القليلة اللاحقة. راحت روزي تتنقل من مكان لآخر في البيت والحديقة ناثرة مشاعر الغبطة. لكنها لم تهمل التساؤل عن سبب اهتمامه بفتاة مثلها. مع ذلك فهي لم تول هذا الأمر جدية أكبر. كان مهتماً - وكثيراً - وهذا يكفي. كانت تروق له طبيعتها وصفاتها. يريد أن يتزوجها فلماذا تساورها الشكوك؟

عند عودته بعد عدة أيام، قالت له: «نعم!»

ابتعد عنها قليلاً ورسم على وجهه ابتسامة صغيرة وأخرج علبة مغلفة بجلد أبيض من جيبه وقال: «احضرت لك خاتم الزواج من لندن... هذا هو سبب ذهابي إلى هناك.»

«لكن كان لك أن تبتاع الخاتم من دوركستر. فهناك أشياء آية في الروعة.»

ابتسم هازئاً وانتظرها لتفتح العلبة. كان محبساً مرصعاً بالزفير والألماس. خاتماً رصيناً ومنمقاً بشكل جميل جداً، وكانت الأحجار كبيرة شديدة اللمعان.

نظرت روزي إلى الخاتم وعلى سيماها دهشة بالغة. «آه يا جاك.» تنفست الصعداء، وارتجفت شفتاها وهي تقول: «ما أجمله.»

راح يدخل الخاتم في اصبعها، مردداً بصوت خفيض: «رمز الأيام والليالي الجميلة الآتية بيننا...»

أحست بالخجل من عمق مشاعرها. مررت أصابعها على العلبة البيضاء الصغيرة، وتمتمت مرتبكة من فرط ابتهاجها غير شاعرة بما تقول: «ما أفعل بهذه؟ إنها جميلة ولا يجدر القاؤها... آه، خطرت لي فكرة...»

وكان لها أن اندفعت لتخرج حقيبة مجوهرات أمها. كانت والدتها قد تركت الحقيبة لها عندما رحلت، بعد ان نقشت على ظهر الصفيحة المعدنية عبارت اهداء. وكما في كل مرة لمست فيها جلد الحقيبة الأحمر، كانت تعيدها إلى مكانها. لم تعلم شيئاً عن أمها، وكيف لها ذلك والأسى الذي سببته لها ايما يملأ قلبها؟

كانت قد قرأت حديثاً في احدى المجلات نبأ بعث فيها الرجاء. كانت ايما قد استأصلت الزائدة قبل بضعة أشهر من

رحيلهما. وفي هذه المقالة قيل ان الزائدة ربما تؤدي إلى الاصابة بالعقم. هل سيخبر الأطباء ايما بشيء من هذا القبيل؟ وقد يكون هذا ما جعل ايما حزينة باكية وغيورة من روزي لدرجة فقدان السيطرة على نفسها؟

على أية حال، كان هذا وارداً، ويمكن لروزي ان تشعر ببعض الشفقة نحو شقيقتها. وإذا قدر لها أن تكن بعض العطف نحوها، هل من الممكن أن يتنامى هذا العطف وتعودان صديقتين من جديد؟ نظرت إلى الزفير والألماس، يلمعان على بشرة يدها الذهبية. ماذا بوسعها أن تفعل لتري المحبس لأمها...

قالت لجاك عند عودتها: «اسمع، لدي حقيبة مجوهراتي الخاصة لأحفظ داخلها علبة خاتمي. ستكون العلبة لا محالة أثمن ما في موجودات الحقيبة.»

وضعت الحقيبة على طاولة المطبخ وفتحتها. سألته بلهفة: «ألا تظن أنه من الأفضل الاتصال بوالديّ لانبائهما بذلك؟»

كان جاك يحك جبينه. سادت لحظة صمت وقال ببطء: «لا... لا. دعينا نفاجيء الجميع لنبقي مناسبة الخطوبة محصورة بنا نحن الاثنين... أعرف انني أناني بطبعي، لكن أريد أن أحتفظ بك لنفسي أطول وقت ممكن...»

تناول عدداً من الخواتم القليلة من الصندوق. الماس، زفير، ياقوت، زمرد، كلها مركزة على الذهب الناعم والغليظ العائد للعصور القديمة. وتناول العقد اللؤلؤي الادواردي الطراز، حلقات وحلقات من اللآلىء الصغيرة المصممة لتلتف حول عنق ناعم طويل، لتغطي الحنجرة،

وتنحدر نحو الصدر، وتتمدد كالغطاء على الأكتاف. كانت هناك أقراط معقودة الزخارف من الطراز الفيكتوري، قلادات جورجية أنيقة وأساور، أحجار كريمة بنقوش بارزة وأقراط، بروشات ودبابيس للملابس.

قال جاك بصوت جاف: «لا بد ان هذه الأشياء ذات قيمة.»

ردت روزي بسرعة: «أعتقد ذلك. في الحقيقة إنها ذات قيمة معنوية. فكل جيل يضع شيئاً محملاً بالذكريات في الصندوق، بعضها احجار كريمة حقيقية، وأخرى بكل بساطة مجرد تذكار، مثل قيد المعصم هذا. كانت تضعه جدة جدتي على رأسها أو ربما جد جدي على لحيته؟ من الصعب حالياً ايجاد ما يماثله. مع ذلك، اعتقد ان أغلبية الأحجار الكريمة بالقطع الجيدة هي حقيقية أو قد تكون صلصالاً! ربما. علماً ان لا فكرة لدي عن مثل هذه القطع.»

واصل جاك تفحصه الدقيق للقطع.

وتابعت بتأمل: «معجون صلصال وماء. لا يمكنك ان تتصور أن أياً كان لا يميز بين معجون الصلصال والمجوهرات الحقيقية، هل بوسعك أنت؟»

رفع قرطاً فيه حبة زمرّد إلى النور وقال: «لا شك ان هذا ليس معجوناً. أين تخبئين هذه الحاجيات؟»

نظرت روزي له بتوق كبير. تمنت لو لم تخرج الأشياء من مكانها. كان قد أصابها الضجر. ما كانت ترغب إضاعة الوقت بالنظر لأحجار قديمة. أرادت أن يحدق بعينيها. تنهدت وقالت: «في خزانة ملابس والدتي القديم. يفترض انها ملكي منذ أن غادرتنا، لكنها ليست إلا اعارة ويفترض بي أن أعطيها لابنتي إذا ما أنجبت فتاة.»

ارتبكت وتورد وجهها عندما فاهت بهذه العبارة، إذ لم تكن قد تحدثت وجاك بعد عن موضوع الأطفال، فهي صغيرة وبريئة ما فيه الكفاية لتدرك مدى احراج هذا الموضوع. وتمنت لو يقول شيئاً بخصوص هذا الموضوع، لو يقول شيئاً لتعرف ما إذا كان ذات يوم ـ ولو بعد زمن ـ سيرغب بانجاب إبنة أيضاً. لو هلة توقعت ان يقول شيئاً من هذا القبيل. سادت هناك لحظة تردد، وبدا انه عدل عن ذلك واعترض قائلاً: «في خزانة الملابس؟ لكن يا روزي هل يوجد في هذا البيت نظام أمان؟»

هزت روزي رأسها نافية.

حرك جاك عينيه متعجباً بحسرة، وهدر بصوته: «لا يوجد حتى نظام انذار ضد اللصوص.» وقال شارعاً بوضع القطع من جديد في العلبة: «آه، يا روزي! سأضع هذه المجموعة مؤقتاً في المصرف، إلى ان ندبر أمراً آخراً.»

قاطعت روزي موافقة: «حسناً، لكن لماذا؟»

«لراحة بالي.»

«لكني لا أعيرهم اهتمامي.»

«لا. لكن أنا أبالي لحالك. لا أريد ان تتعرضي لسطو، فهذه ليست بتجربة حسنة.»

دمدمت بشك: «افترض انها ليست كذلك...» لم يخطر على بالها أبداً ايلاء هذا الموضوع حيزاً من تفكيرها، لكنها كانت على يقين ان جاك محق، فأردفت: «جيد، إذا كنت تعتبر هذا أفضل...»

«أجل.»

أقلها إلى لندن في الأمسية السابقة لزواجهما، وحجز

غرفتين منفصلتين في احد فنادق ويست اند الكبيرة. ملأ غرفتها بالورود، واحضر أبهى ثياب زفاف مكتملة الخياطة لتطابق مقاسها. كما أمر لها بباقة من الورود البيضاء.

حين انتهت من ارتداء ملابسها في اليوم التالي، انتصبت قبالة المرآة الضخمة معجبة بنفسها، بينما برز جاك من خلفها حاملاً بيديه عقد اللؤلؤ من حقيبة مجوهراتها.

قال: «شيء مستعار.» ووضع عقد اللؤلؤ حول رقبتها، وتراجع قليلاً. ألقت على نفسها نظرة جديدة. بدت شبكة اللآلىء رباطاً مشدوداً على بشرتها الذهبية، لم تعد محتشمة وحسب بهذا اللباس، بل بدت جميلة، عروساً تشع نضارة.

وقف إلى جانبها وتمتم بصوت جاف: «يجب ألا أقبلك إلى ان تصبحي عروستي فعلاً.»

بعد أن أتما عقد قرانهما رفع جاك الحجاب وقبلها ثم اتجها إلى الفندق، حيث كانا قد حجزا غرفة لهما.

صارت زوجته بكل معنى الكلمة.

كانا جالسين في الغرفة بمنتصف الظهيرة ويطالعان الصحف. حاول جاك اقناعها بجولة لشراء بعض الحاجيات، لكن الجو كان رطباً والرياح عاصفة ففضلت البقاء داخل الغرفة.

دق جرس الهاتف. فتناول السماعة ليجيب، إذ أنه كان يتلقى باستمرار مكالمات متعلقة بأشغاله طيلة الأيام الثلاثة من بعد زواجهما، لذا لم يكن هناك داع للاستغراب. بات يجيد لعبة التخلص من الناس.

لكن هذه المرة اختلف الأمر.

زمت روزي شفتيها استياء، قائلة: «في شهر عسلنا.»

لكنه أصر بشدة هذه المرة. وقال لها: «سأغيب قرابة الساعة. ماذا ستفعلين خلال غيابي؟»

ألقت روزي بنفسها على كومة الوسائد، واضعة احدى يديها تحت ذقنها. «أولاً عليّ ان آخذ حماماً منعشاً. ومن ثم سأتمشى لأذكر نفسي ان العالم الخارجي ما زال موجوداً.»

«لكني ظننت انك لا تحبذين الخروج في هذا الجو؟»

قالت مبتسمة: «ذاك حين كان لدي شيء أفضل لإضاعة وقتي به...»

إلا انه في اللحظة التي غادر بها تذكرت انها نسيت أن تبوح له بحبها مجدداً. كانت المرة الأولى التي يتركها فيها منذ زفافهما وهي لم تطبع على وجنته ولو قبلة عاجلة! أطلقت ابتسامة عابثة ولبست ثيابها بسرعة لتشرع بمطاردته في رواق الفندق نزولاً للبهو.

نظرت حولها متفحصة بهدوء. لكن فات الأوان. فقد ذهب دون ان تتمكن من اللحاق به. كان فناء رحباً، يعج بالناس أعمدة وقناطر وشجيرات نخيل خضراء منثورة بكل الرقعة الواسعة. استغرق بها الأمر لحظة لتدرك انه ما زال هناك، قريباً منها ما فيه الكفاية. على الطرف الآخر من سياج النباتات الخضراء. لقد ميزت صوته.

كانت على وشك الجري باتجاهه وأخذه على حين غرة حين أصغت لما كان يقول.

«أنا أحبك أنت أيضاً. عليك ان تصدقيني...» كان يتحدث بصوت غريب متثاقل متحمس مشدداً على كلماته.

اقتربت من صف النباتات الخضراء وامعنت النظر. كان

واقفاً مع امرأة. امرأة تعرفها تماماً. انها هي، ولم تكن قد رأتها خلال الأعوام الثلاثة الماضية. لا بد ان تمر أكثر من ثلاث سنوات بكثير حتى تنسى روزي اختها.

أمسكت ايما بمرفق جاك، تنهدت قائلة: «أنا آسفة، يا جاك. أعرف انه ما كان لي أن أهرع إلى هنا على هذا النحو، لكنني شعرت بالوحدة، أحسست بنفسي منعزلة، فقط بانتظار عودتك وتسوية الأمور حسب الأصول. لكن عبثاً.»

همس برفق: «لن يدوم الأمر طويلاً يا ايما، أعدك بذلك ستوضع الأمور في نصابها قريباً. لا بد من ذلك.»

تنهدت ايما وقالت: «أعرف. ما كان لي ان أبدو بهذا الغباء. أنا أثق بك يا جاك، وأنت على يقين من ذلك. كيف تجد نفسك.»

أطلق ضحكة هادئة وناعمة وقال جاذباً إياها نحوه: «اني أحس نفسي على خير ما يرام. أحس وكأني أسير في الهواء. ان الحب لشيء مميز جداً...»

أطلقت ايما ابتسامة رضى ووقفت على رؤوس أصابعها، دانية منه لتقبله على وجنته. تنهدت مرة أخرى وقالت متزلفة: «لكن، كم مزيداً من الوقت، يا جاك؟ لا أظنني أطيق أكثر، لو تعرف حقيقة مشاعري...»

أكد لها بإلحاح: «أجل، أعرف. لو لم يكن يخالجني ذات الشعور، هل تظنين انني سأتابع هذه الخدعة؟ لكن عليك ان تتحلي بالصبر يا ايما، سيأخذ الأمر وقتاً. سيعطي النتيجة المرجوة، سترين. عندها سنعود سوية.»

«انه لشيء مثير... هل هي حامل أم بعد. هل تظن ذلك؟»

ضحك مستغرباً: «ايما صبراً، صبراً...»

ضحكت ايما أيضاً: «أعرف، ان هذا ضرب من السخافة، لكن لا يمكنني ان انتظر لتكون... حسناً، لا بد ان أكون أفضل خالة عندما يحين الوقت، أليس كذلك؟ سيكون طفلك يا جاك، وليس طفل روزي فقط. آه، أياً كان يمكن ان يكون له ابن أخ أو اخت مشترك، لكن هذا الطفل سيكون عملياً ملكي، ألا توافقني؟ ألا تلومني لكوني متحمسة لهذا المشروع؟ آه، لا أقدر على الانتظار حتى نصبح نحن الثلاثة سوية...»

تنهد جاك: «آه يا ايما... انني سعيد جداً. عليك بمزيد من الصبر. سأضمن ان تسير الأمور تماماً. أعدك عندها أن لا يحصل بيننا فراق أبداً... سنصحح كل الأخطاء الماضية وستنالين في الختام كل السعادة. سأبحث عنك يا ايما دوماً، أنت تعرفين ذلك.»

همت روزي لا شعورياً بالعودة أدراجها خلال الحديث الأخير لجاك. لم ترغب سماع المزيد. شعرت بالخذلان. قد تنفجر غاضبة به بأية لحظة الآن. لكن لا. لن تفعل هذا. سيحصل شجار وهرج ومرج وسينتبه جاك لسماعها الحديث وهي لا تريد ذلك. آه يا للمفاجأة لم تدر ما تفعل تمنت لو كان باستطاعتها ارجاع عداد الزمن إلى الوراء. ضاق صدرها، لم يعد الهواء كافياً في ذلك المكان. كانت بحاجة للخروج سريعاً طلباً للهواء الطلق.

كانت شوارع لندن قد اغتسلت بمياه المطر. كان منظرها ولا بد مثيراً للشفقة، ووجهها مبللاً بالدموع، وملابسها مبتلة في شوارع وسط لندن على الأقل، لم يعلم أحد بما جرى. وأخيراً انقضت العاصفة، ومعها ازدياد نحيب روزي. كانت تشعر بالبرد الشديد يجتاحها. كان تدبير جاك

وايما معاً قد جعلها تشعر بالاشمئزاز. كيف لهما أن يكونا بكل هذه الحقارة؟ لقد تزوجها لتنجب له الطفل الذي عجزت ايما عن وهبه إياه. وثم ماذا، بعد الولادة؟ لمَ يخططان سوية؟ هل يحمل الوليد ليلقي به بين ذراعي ايما، أم يبقى معها، ليعيش حياة زوجية زائفة، مختلياً بايما كلما سنحت له الفرصة منتظراً ربما ذريعة يتحجج بها للطلاق منها؟

أسقمها مجرد التفكير بكل هذه الاحتمالات، بل ان تتصور انها أحبت هذا الرجل! آه، ما أغباها... لكن الآن لم تكن قد أحبته عن حق... هل هي تريده فعلاً... لقد كانت بمنتهى السذاجة... لقد انزلقت قدمها وراء أول رجل حسن المظهر... لقد عرفت من البداية انه لا يمكن أن يكون مهتماً بها حقاً...

هرعت واثقة الخطى باتجاه الفندق، وقدماها تصدران دوياً راعداً على الأرصفة المبتلة. حسناً. لم يكن في الغرفة.

ارتدت بسرعة ملابس جافة وبدأت توضب حاجياتها. كانت تنقل متاعها من على السرير إلى الحقيبة حين عاد. من أين عاد؟ من غرفة أخرى في الفندق؟ من بين ذراعي امرأة أخرى. آه، يا للتعاسة، كل هذا يسقمها.

صاح جاك متعجباً وعيناه مشدوهتان للمنظر: «روزي. ما الذي يجري هنا؟»

أجابته بانزعاج: «حاول أن تحزر.»

«هاي، لكن روزي حبيبتي... ما...»

«آسفة يا جاك، لكنني فجأة عدلت عن فكرة زواجي منك. أنا واثقة انك تعرف تماماً كيف هي هذه المسائل. رجل مثل خبرتك بهذا العالم.»

ساد الصمت بينهما. ركزت روزي عينيها بحزم على معطفه. بوسعها أن تفعل أي شيء إلا ان تنظر لعيني جاك. لم تكن لتطيق ذلك.

«لقد رأيتني مع ايما؟» كان صوته ينم عن ثقته بما يقول وأضاف: «وأنت تعرفين عن... عن علاقتنا؟»

«نعم.»

«انظري يا روزي، انك غاضبة الآن، لكننا سنتحدث بهذا الأمر لاحقاً... من الطبيعي ان تكوني غاضبة منفعلة كما أنت الآن...»

بذلت كل طاقتها لتمنع نفسها من الاجهاش بالبكاء. كانت شاحبة الوجه، زمت شفتيها بقوة وتلوت مبتعدة عنه. «طبيعي؟ انت على حق. هذا شيء طبيعي. اعطني سبباً وحيداً سديداً لكي أقبل ان ابقى زوجة لك. هل لأكون أم أولادك؟ والآن ابتعد من دربي. اذهب من حياتي.»

«تريدين سبباً لبقائك؟ آه، يا روزي أنت تحبينني...»

حتى هذه المرة خال نفسه سيكسب الجولة. أيظن انها غبية لهذه الدرجة! «أحبك؟ آه لا، يا جاك. لا أظنك واهماً إلى هذا الحد.» ونظرت إليه فجأة بعينيها الباردتين، الطافحتين حقداً. «أنا لم أحبك أبداً. ولا لدقيقة واحدة. كنت مولعة بتجربة الزواج، هذا كل ما في الأمر. أنسيت كم صغيرة في السن أنا؟ وكم كنت موضوعة تحت الرعاية والصون؟ كنت شغوفة بمعرفة معنى الزواج والاستقرار. بمثل هذه الظروف يا جاك فان عرضك بدا مغرياً للغاية. حسناً لقد أوفيت حاجتي لمعرفة الحياة الزوجية لأيام ثلاثة، شكراً لك.» انتزعت على الفور الخواتم من أصابعها

وقذفت بها لا مبالية عند قدميه. وانفجرت هازئة: «أؤكد لك ان الأمر لا يستأهل الانفاق بهذه الحلى التافهة.»

تغيرت تعابير وجهه، واندفعت يده لتمسك رسغها بقوة، لكنها ارتدت إلى الوراء بسرعة.

«لن تجرؤ على وضع اصبع واحد عليّ، يا جاك، وإلا سأملأ المكان صراخاً، وارمي بكل شيء.»

«روزي... انصتي... أكل هذا لأنك رأيتني مع ايما...»

لكن روزي لم تحتمل سماع ذلك الصوت الذي زعزع عزيمتها. لم ترد سماعه من جديد. أبداً. «ايما؟ أنا سعيدة لأني رأيتك مع ايما. سعيدة. ألا تفهم ان ايما هي آخر شيء في كل هذا؟ رؤيتك معها فتحت عيني بكل بساطة على السبب الحقيقي لغبائي الشديد، إلى حد تركك تضع كل هذه الخواتم في أصابعي. كنت فضولية وبدون خبرة في الحياة. لسوء الحظ نحن الآن مثقلان بزواج بال.»

أغلقت حقيبة متاعها وتابعت: «والآن، ابتعد عن طريقي. فلدي بقية عمري لأفعل به ما أشاء.»

الفصل الثالث

القت روزي بمتاعها، وتركت ثوب الفرح الأبيض الفضفاض يجرجر ذيوله وئيدا على طول طريق العودة إلى ليتل بورن هول. كانت مضطربة متخوفة من انكشاف امرها. كانت تعرف قدرتها على التظاهر، وان لديها الخبرة اللازمة للقيام بمثل هذا الدور. لقد انقضت أربعة اعوام. أربعة اعوام على تمزيق شقيقتها وذاك الرجل لثقتها، لكنها متيقنة أن ما حصل كان مفيداً لها. باتت تحس نفسها بافضل حال بعد أن اندملت جراحها. لكن في لحظات كهذه... وهي متوجهة لرؤية شخص جديد ودار جديدة... كانت تتذكر أن روحها لم تشفَ بالكامل.

تنهدت. ربما باعادة ترتيب القاعة تفعل شيئاً ينسيها آلامها؟ لقد عرفت البيت القديم منذ نعومة أظفارها. كانت تهوى المكان. لم تكن تقدم ذلك العون السديد لكنها كانت تستمتع بالعمل هناك. كان أوبري قد منحها سكناً جديداً بمالكين جدد. وانصرفت للعمل به بكل همتها، إذ ربما، تلقى في النهاية انها رممت ثقتها بنفسها بقدر ما رممت ذاك المنزل. وهي مجرد ان تشرع بالحديث مع الزبون أو زوجته تتداعى أوصالها للراحة.

ومع ذلك، فعندما راحت تدور حول المنزل، المتشح بعرائش اللبلاب، لم تقاوم استراق النظر إلى المرآة العاكسة للسائق للتتأكد من مظهرها. كانت ترتدي معطفاً من الحرير،

www.liilas-romance.com

بنفسجي اللون. وربطت حول عنقها قطعة أخرى من الحرير الناعم، موشحة بخطوط من ذات الألوان، منسدلة كالشلال مرافقة انسياب شعرها من الوراء. كان للشريط الموضوع على الرأس ذوق خاص، حسناً. هكذا يجب أن تبدو إذا ارادت فعلاً ترك الانطباع الصحيح.

توجه مدبر المنزل لفتح الباب وساعدها على حمل عيناتها وحقيبة اوراقها إلى داخل قاعة الرسم المهيبة. فضلت روزي المكوث واقفة، وبدت اللهفة تدب فيها. لم ترد أن تظهر بمرتبة اقل أثناء مجيء الزبون.

وعندما وصل... انفتح الباب بكل بساطة وعبره. تلك السيارة.. تلك السيارة السوداء التي كانت تجوب شوارع دوركستر في تلك الأمسية من ايلول - سبتمبر...؟ وكمن يصحو من ذهوله، ادركت انها لم تكن على خطأ. ها هو أمامها، عابراً الباب، وهذه المرة لم يكن هناك من مفر، لم يكن هناك اي مجال للهرب. آه، كم هو قاس ان تشاهده يسير داخل الغرفة. كان مؤذياً بمقدار ما كان ذلك اليوم في غرفة الفندق. اربعة اعوام... ومعاناة مشاهدته كانت بذات القدر. لقد انقبضت نفسها وتوقف صدرها عن الحراك...

بدا أنيقاً في بذلته الرمادية الثمينة، وكان شعره الكثيف، الداكن، المستقيم قد قص قصيراً، مموهاً وجود خصلات الشعر الأبيض مما جعله يمتلك تسريحة خاصة به. كانت وجنتاه وحاجباه، وفمه المرسوم ما زالت على شكلها السابق، لتعطي ذات الوجه الذي أحبته روزي منذ النظرة الأولى. والعينان، آه، عيناه. كانتا تصيبان منها مقتلاً اكثر

من أي شيء آخر. لقد تعلمت روزي امراً وحيداً، انه الرجل الذي احبته، مهما جرى.

كان يسير باتجاهها ويده ممدودة لمصافحتها. وعندها توقف فجأة، وانقبضت يده وراحت تنهار بطيئة لجانبه، وعيناه تتسعان وتنقبضان.

«روزي؟ روزي؟ هل هذه انت حقاً؟»

كان فمها قد تجمد. ولسانها التصق بسقف حلقها. وببطء، وبرودة، مدت يدها للمصافحة.

«روزي موند ويلز»، قدمت نفسها بصوت جاد وتكسرت حروف كلماتها من فرط ما ضغطت على نفسها.

«ليس بوسعي القول انني مسرورة للقياك، فهذا كذب ونفاق. لكنني سأقول عوضاً عن ذلك، كيف حالك؟»

«روزي. أنا أعرف من انت!»

قالت بصوت متحسر: «أنا ذاهبة. آسفة لاضاعة وقتك.»

«روزي!» كان صوته قد انشحن خشونة.

القت عليه نظرة. كانت تشعر بعضلات وجهها تنقبض، وتشتد حول ثغرها. وضعت حافظة اوراقها تحت ابطها.

«ماذا تفعلين؟»

«أنا...» شهقت بعمق وابتلعت الهواء بقوة: «أنا ذاهبة. لقد اخبرتك ذلك. ما كان لي أن آتي لو عرفت مسبقاً بمن يتعلق الأمر. لم يذكر أوبري أي اسم.»

«اوبري؟ اوبري غرينسلايد؟»

أومأت موافقة، متقدمة بضع خطوات نحو الباب، اندفع كالحيوان المترقب هفوة صغيرة من الطرف الآخر، واضعاً يده القوية على ذراعها، ساحبا منها حقيبة اوراقها.

«أنت المصممة الشابة المبدعة من كرايساليز انتريورز؟»

أومأت برأسها قليلاً، وحاولت السير بضع خطوات اضافية باتجاه الباب. لكن يده انقبضت بقوة على ذراعها.

قال بحزم: «أنت لن تذهبي الآن. لقد حسبت دوماً اننا سنجد فرصة لنجدد... معرفتنا ببعضنا حين اشتري هذا البيت. لكن اللحظة حلت قبل اوانها بقليل. لدينا الكثير مما نقوله، اربع سنوات، يا روزي، جديرة بذلك.»

جحظت عيناها حين نظرت إليه. «ماذا يمكن ان يقول الواحد منا للآخر؟ اعيد واكرر ان محادثتنا الأخيرة كانت قاطعة. أتيت هنا لأعمل. وباعتبار أن هذا غير ممكن الآن، فإنني أود الذهاب. والآن اترك ذراعي، فأنت تؤلمني.»

«ليس من الممكن. آه، لا، يا روزي. لن ادعك تذهبين مرة اخرى.»

«ما لك ان تمنعني.»

اقلت يدها، وقال: «لدي عقد مع غرينسلايد ويذرول يشملك أنت أيضاً. إنها البداية.»

سحبت يدها ورمته بنظرة احتقار وقالت: «عقد؟ لو تظن أن اي عقد بالعالم سيجعلني امكث لحظة اضافية إلى جانبك، فانك معتوه. زواجنا كان عقداً، ولم تكن له قيمة كبيرة، اليس كذلك؟ ام انك نسيت كل شيء عن هذا الموضوع؟»

تراجع للخلف، واستند بكرسي وكتف ذراعيه على صدره بشكل مسالم. كان يتفحصها ببرودة اعصاب. قال بلطف:

«آه، لا. لم انس. وانت لم تنسين. فنحن بأية حال مازلنا زوجين في نظر القانون.»

«فقط لأنه لم تمض الفترة المحددة والقانونية بعد حتى تحين اللحظة التي امنحك فيها الطلاق.»

«كان لك ان تطلقيني منذ زمن بعيد، يا روزي، ليس عليك أن تنتظري خمسة اعوام.»

«عليك أنت أن تفعل ذلك إذا كنت ترغب ببطاقة طلاق جميلة، كما تعرف.»

امعن النظر فيها ببرودة. اشار برأسه إلى حافظة اوراقها، الملقاة على كرسي، وقال: «هل لنا ان نبدأ عملنا؟»

«اعذرني.» قالت بصوت وضيع ينم عن كل ما حاولت ان تبديه من كياسة.

«سأستدعي المهندسين المعمارين إذا كنت موافقة على صيغة العقد.»

نظرت إليه لا مبالية قائلة: «افعل ما يحلو لك. فآل اوبري عائلة صديقة قديمة. والسيد اوبري لن يعترض حين اشرح له ملابسات ما جرى.»

بدت ابتسامة صغيرة على جانبي فمه وقال:

«لهذا كان متلهفاً لاقناعي لكي ادعك تقومين بهذا العمل. انه كثير بالمقارنة مع طاقاتك الابداعية، أليس كذلك؟»

حملقت روزي به وشدت على شفتها السفلى واعتملت في نفسها مفخرة عظيمة. «لا على الاطلاق. آل غرينسلايد ويذرول، هم قمة الهندسة في حقلهم. ولا يحلم أحد بالتوصية به ما لم يكن يتناسب مع معاييرهم.»

قال مؤكداً: «انا لا اشك أنك جيدة. كما أنني لا اشك بأن

تقديرات اوبري لا تقوم على اساس حين يتعلق الأمر بانثى شابة وصديقة للعائلة. فرجال في سنه يفكرون بعقلية باردة حين تدخل نساء جميلات في اللعبة.»

«ماذا تريد أن تلمح إليه تحديداً؟»

«لا تشغلي بالك كثيراً. انا لا افترض ان كلاكما اتفقتما على شيء معين. بلا شك، ما كان له ان يفكر بقدراتك على هذا النحو لو كان اصغر بعشرين سنة.»

تفاقم غضبها، واستدارت مبتعدة لتتفادى الاقتراب منه اكثر. سارت ثابتة الخطى حوله ودفعت حافظتها بقوة نحو الأرض. جثمت على ركبتيها وفتحت الحافظة على مصراعيها.

«هذا.» قالت بوضوح واضعة ابهامها على صورة في أعلى الصفحة، وهزت الصورة. «وتلك، وتلك، وتلك. هيا. انظر... قرر بنفسك.» وجلست على عقبي قدميها.

اقترب وانحنى إلى جانبها. حدقت به لوهلة ووقفت على قدميها بسرعة وخطت باحثة عن علبة النماذج. ادارت له ظهرها واقفلت على الصور والرسوم كي لا يرى ارتعاش اصابعها. شعرت بالسقم والاشمئزاز من نفسها. آه، كيف يمكن أن تكون غبية إلى هذا الحد؟

عادت وفتحت الصندوق وبدأت عينات البلاط الهشة كاوراق اللعب على السجادة العجمية البالية قبالتها.

قال محذراً: «انتبهي يا روزي، ستكسرينهم.»

ردت بسرعة: «من الأفضل ان افعل ذلك على رأسك.»

أجابها هادئاً وهو يتناول احداها ليتفحصها: «بكل تأكيد، انها اكثر قيمة؟»

هزت رأسها: «ارخص مرتين من سعرها. كلما كان الشيء الذي يتهشم أغلى ثمناً كلما كان الابتهاج اكبر. هذا هو ما يجعل لوريل وهاردي مرحين جداً.»

وضع يديه العريضتين على منكبيه، والقى برأسه للخلف وضحك. انبثقت خطوط رقيقة كالمروحة من زوايا عينيه، خطوط جديدة. برقت عيناه من بين اهدابه كلمعان الماء من بين اعواد القصب، وابتسم ابتسامة عريضة، وقال: «لم تكن لدي اية فكرة ان يومي سينقلب إلى خير.»

كبتت همهمة ساخرة لتقول بعمق: «أنا ذاهبة.»

وقف بدوره ونظر نحوها: «بل انت باقية. كان أوبري على حق. انك رائعة في هذا. العقد قائم.»

هزت رأسها: «انا لم ارك عملي لاضمن العمولة، بل لاثبت وجهة نظري، وكوني انتهيت، انا ذاهبة. بوسعك اعتبار نفسك حراً في اختيار ما تشاء.»

«اتروق لك فكرة المثول امام محكمة والاعلان امام العالم عما دار بيننا؟ انت تدهشينني يا روزي، فأنا اتعجب لِمَ لم تقدمي على افتعال مناظرة مثيرة، في هذه الحال.»

جفلت روزي، فقد مسّ فيها الوتر الحساس. بالطبع لم تكن لترغب ان يعلم احد بزفافها منه. كانت تشعر بعزة نفس كبيرة. لم تكن ترغب ابداً ان تصاب بالاهانة والتحقير.

«أنا لا اعترض على اتصالك بأوبري لتنهي عقد العمل على أية حال، إذا كان هذا هو اللازم. انه للأسف ما يجري خلفه محررو المقالات المثيرة في الصحف.»

تمتم بصوت هادىء: «كم هي قليلة درايتك... وعلى اوبري ان يرد على مسائل وقضايا ويقوم بتقديم الاعتذارات

والاعذار لتعديل بنود العقد. سيفعل هذا والا فأنا ذاهب لابحث معه موضوع كل قرش يملكه. تحديداً، كم هي جيدة هذه الأسرة القديمة الصديقة لك، أسرة غرينسلايد؟»

انحنى ليقفل حافظتها. وقال متوسلاً: «تعالي ابدأي باخراج هذه العينات. ظننت أنك على عجلة من امرك؟»

قالت حائرة: «انت لن تجرؤ حقاً، هل ستفعل ذلك.»

رماها بابتسامة هازئة: «هناك طريق واحد...»

ضغطت على شفتها السفلى، وقالت بعصبية: «انت لن تجرؤ.» كانت واثقة انه لن يفعل ذلك. فهو الذي تصرف بأحقر ما يكون. كان بوسعه ان يطلقها منذ زمن. لكنه لم يفعل ذلك. سيكون هو الخاسر الأكبر إذا ما كشفت الحقيقة. هيلاك كيبيك ايستاتيز ليمتد، هي واحدة من ابرز الشركات واشهرها هذه الأيام. ليست سمعة جاك وحدها ستكون في خطر، فحصته ايضاً ستكون في مهب الريح.

قالت من جديد: «أنت لن تقدم على هذا.» لكنه رفع حاجبيه راسماً علامة الحيرة ولم ينبس ببنت شفة.

ساد صمت طويل فيما كانت مشاعر وافكار روزي تتفاعل على غير نحو. وعينا جاك الزرقاوان ترقبانها بامعان. صاحت منفعلة في النهاية: «أعد هذه الرسوم إلى مكانها. يبدو أن لدينا اعمالاً قليلة يجب معالجتها قبل ذهابي.»

وقف ومدد قامته وابتسم: «يا له من يوم رائع. انه رائع ما فيه الكفاية.»

تجاهليه. تجاهلي الرجل الذي امامك. فقط فكري به كزبون. كوني محترفة بعملك. هذا هو الجواب. ومهما

فعلت، حاولي الا تشعري بحاجة للبكاء. لا. ولا في أية ظروف...

«يبدو لي النور خافتاً هنا...» ونظرت إلى أعلى، نحو المصباح المعفر بالغبار، الذي انطلقت من جوانبه انوار صفراء شاحبة. «هل من مكان افضل انارة لاريك تفاصيل عملي يا سيد هيلاك؟»

أجابها باصرار محبب: «جاك.»

رفعت رأسها مدافعة: «افضل ابقاء الأمور في مجال العمل يا سيد هيلاك.»

«كما تشائين، يا سيدة هيلاك.»

«لا!» انطلقت الكلمة من فمها قبل ان يتسنى لها التفكير. احمر وجهها حنقا. وفكرت، لقد كسب النقاش بلا جدال.

قال ملمحاً: «آه! هكذا، افضل احمرار الوجه حياء! هذه هي روزي التي عرفتها.»

أكملت هي بقية العبارة، وبسرعة: «... ووقعت في حبال الغرام فوراً.»

قال لها ببرودة: «أنت، يا روزي، من رحل، الا تتذكرين؟»

«آه، اتذكر، يا جاك. لن انسى ابداً لحظة اكتشفت ان كل مشاعرك نحوي لم تكن الا خدعة، فلا تحاول أن تبدو بمظهر المجروح كبرياؤه.» أسرعت، قبل أن يعقب على تعليقها المرير، ماشية عبر الأبواب الفرنسية، ونظرت للخارج. كانت هناك طاولة بيضاء من الحديد وكراسي. قالت محتدة: «هناك... نور النهار افضل.»

دنا ووقف بجوارها واخرج حفنة من المفاتيح من جيب بنطاله، وبعد أن قلبها اختار المفتاح المناسب. انحنى من

www.elromancia.com

امامها ليدخل المفتاح في القفل. اخفضت روزي عينيها مخافة ان تخدعاها. ولقربه منها تلقفت عبير عطره الليموني بعد الحلاقة. احست باضطراب في داخلها. توقعت كل شيء، لكنها لم تتخيل ردة فعلها التي انتابتها. كان قد تزوج منها ليخدم مصلحة امرأة اخرى، شقيقتها. مجرد التفكير بالأمر يجعلها تصاب بلوعة لا تطاق.

حمل جاك كل حاجياتها ووضعها على الطاولة. كان قد فتح حقيبة اوراقها وراح يدرس بعض العينات.

قال: «ها أنا أفهم ما عناه أوبري بالنسبة للعينات.»

«ايه... نعم.» وشردت بذهنها بعيداً نحو الماضي، وحاولت التركيز على ما كان يقوله جاك. ما كان لها ان تذهب بأفكارها بعيداً جداً. التفكير بذلك، كان يخدر وجهها ويتركه كما لو كان مثقلاً بالرصاص. حتى اجفانها بدت ثقيلة، تبذل جهداً كبيراً لابقائها مفتوحة.

بدأ بالقاء اسئلة عملية. اجابت بوتيرة رتيبة ميكانيكية، بخلاف نبرتها المتحمسة لتنميق كلماتها في مثل هذه الأحوال.

«روزي، ما مشكلتك؟»

صدمها انفعال صوته. كيف يجرؤ على مخاطبتها على هذا النحو بعد... بعد كل ما جرى؟ كيف يجرؤ؟

انفجرت قائلة: «أنت لست جاداً في ما تقول؟ الا يمكن أن تفهم حقيقة ما في الموضوع، يا جاك؟ ما مشكلتي؟ الا تقدر على التعامل معها؟»

تنهد، وقال: «الا يمكن أن تصفحي عما جرى، يا روزي؟ الم يخفّف مرور الزمن من شعورك؟»

«اصفح؟ يا له من سؤال، يا جاك. لقد خدعتني باسوأ طريقة ممكنة عندما كنت شابة وسهلة التأثر. لقد تغيرت منذ ذلك الحين. لقد اصبحت امرأة لا تسامح أبداً، فعليك أن تلوم نفسك.»

ابتلعت غصتها. كان صعباً عليها الاقرار بهذه الحقيقة. في الواقع، هي امرأة متسامحة جداً. لم تكن لتتظاهر بالتلذذ بطعم المرارة الذي تحس، ولم يكن بمقدورها طرده بسهولة، كانت تعرف انها هي الوحيدة المصابة بهذا الشعور. عبرت نحو الطاولة وراحت توضب العينات بشكل واضح، محاولة وضع الزوايا في الأماكن الدقيقة، علما انها ليست متشددة جداً بالدقة.

«آه، الآن ارى أفضل.» اتى ليجلس بجانبها. جاورت يده يدها، متناولة عينات من المجموعة المنشورة وواضعاً اياها بعناية بالقرب منها.

«الا تعتقدين انك اصبحت أكثر ليونة يا روزي؟»

قيلت الكلمات قريباً جداً من اذنها، فشعرت بنفسه الدافىء على وجنتها. عضت على شفتها السفلى بقوة. كان وجوده يفقدها رباطة جأشها. كان قربه منها بذاته امتحان لقدرتها على ضبط النفس. قالت بحزم: «أنا متأكدة. أنا لا اتخيل ماذا تأمل من كسب عفوي، إذا كان هناك حقاً ما تسعى إليه. هل لتزيل عبئاً، عن ضميرك الذي لا وجود له؟ ايا كان ما تريد، فانك لن تناله مني، باستثناء اجادة عملي. انا موجودة هنا فقط لأنني لا اريد ان أتسبب بالمتاعب لأوبري.»

اتى صوته بمنتهى البرودة: «لقد اصر أوبري على انك

جيدة، خاصة، في فترة العمل، لقد اتسعت رقعة هذا المكان على مر السنين... كيف تفكرين التعامل مع هذا الأمر؟»

«أنا... آه...» اغمضت عينيها لوهلة. هكذا كان؟ كل هذه السنوات على بعضها، مسامرة قصيرة... مؤدبة جداً رغم الظروف... ويصبحان شريكين في العمل!

لقد كبرت روزي ويلز، لكنها لن تكبر ابداً لتصبح سيدة الموقف امام رجل ذكي مثل جاك هيلاك.

بدأت روزي تحسب الالتزامات الممكنة فيما اقتادها لترى المنزل ذي الطراز اليعقوبي. بقي واقفاً إلى جانبها حين اراها المكان.

كان عليها مواصلة الوقوف إلى جانبه فيما اراها المطابخ والحمامات، وحجرة المؤن، والحظيرة القديمة، والبركة المكشوفة المشيدة منذ ثلاثين سنة، الملطخة بالبقع والغبار لعدم الاستعمال، ومن ثم السلسلة التي لا تنتهي من المواقد. كانت تأخذ اعداد النماذج على عاتقها دوماً. فالتغييرات الحديثة تبدل عادة معالم البناء القديم، وكانت قد اكتسبت مهارة فائقة بصنع نسخ تقليدية عن العينات، وتجميل النماذج الجديدة لتكوين جداريات ومحيط متميز. يبدو ان ليتل بورن هول كانت قد شيدت خصيصاً لاستيعاب النماذج. كانت تأمل انجاز اكبر قدر ممكن من العمل، الا ان موضوع التعديلات سيؤدي لا محالة إلى استنفاد وقت كبير جداً في البيت. وللأسف الشديد، اهملت تفاصيل كثيرة، لأنها لم تكن قادرة ولو للحظة واحدة على الاستمتاع بفكرة وجود كل هذه الرسوم في عملها.

ومع الوقت وجدا نفسيهما في غرفة النوم بجوار الحجرة

الرئيسية. كانت الحجرة كبيرة للغاية، وتطل على واد لطيف عبر الشرفة الحجرية خلف الأبواب الزجاجية. كان في الغرفة موقد ضخم من الرخام، بيد ان الشقوق انتشرت إلى اعلى. انحنت روزي بجوار الموقد، ورفعت طرف السجادة لترى ما إذا كان جانب الموقد سليماً.

سألته: «هل تخطط لاعادة الموقد إلى سابق عهده؟»

«نعم.»

«محيط الموقد يعود للطراز الفيكتوري القديم. هل تود المحافظة عليه، ام تريد ترميم كل شيء وفق تاريخ البناء الاصلي؟»

اجاب بصوت عال: «اعتقد بضرورة ابقائه كما كان. فغرفة الحمام من الطراز الفيكتوري أيضاً، وأنا لا اعتزم التخلص من هذا.»

ما كان لروزي ان توافقه الرأي، فهي كانت تبحث بازدياد عن سبل للتشاجر معه بقوة.

وفجأة القى عليها نظرة مباشرة غير متوقعة وقال: «انت تعرفين شأنك في المنزل. من الصعب التصديق ان مشاعرك لم تنضج ولو قليلاً.»

وقفت جانباً وقالت: «هل تحاول حملي على القول انني عفوت عنك، يا جاك؟ هل كان هذا قصدك من تعليقك العابر؟»

دنا منها كثيراً عندئذ ووضع يده على كتفها.

«انت لم تصفحي عني يا روزي. وانا لم أنسَ.»

ابقت نظرها مشدوها كالعمياء، متجاهلة ارتعاد فؤادها. سألت بهزء: «نسيت ماذا، يا جاك؟» وتمنت لو فكرت قبل ان تتكلم.

«هذا جزء من السبب، يا روزي، انني لم أنس طعم قربك مني. لقد احببتك حينئذ. وعلى الأقل لم تتبدل الاشياء بالنسبة لي.»

ازاحت وجهها جانباً بسرعة، وسألته متلهفة: «وايما؟ هل نسيتها؟»

«لم انسها، يا روزي.»

إذاً، فعلاقته بشقيقتها ما زالت قائمة، ومع ذلك فهو يقول بأنه أحبها... كان لها ان تقفز مرتعبة. لكن شيئاً لم يتغير.

انتفضت قائلة: «آه، انك كريه! دعني اذهب!»

سألها بصوت جاف: «كم بعيدا ستذهبين؟ عبر الغرفة، أو إلى وسط البلد، كي لا تعودي ابداً؟»

«عليّ أن اواصل عملي. لأجل اوبري، الا تفهم. لكن لن تجرؤ على وضع اصبع واحد عليّ من جديد، اوساتهمك بالاعتداء عليّ.»

اطلق ضحكة خفيفة خطرة: «حقاً؟ ما زلت زوجتي. او هل نسيت؟ لن يكون بوسعك تثبيت الاتهام. لكن لا تبالي. فأنا لن ادعك تذهبين هذه المرة بسهولة.»

«ليس بوسعك ان تفعل شيئاً لتبقيني. يمكنك ان تطلق التهديد والوعيد الذي يحلو لك هذه المرة، يا جاك. سأقوم بعملي. لكن إذا تمابيت، اتحداك ان تنفذ تهديدك، وسأذهب مرة أخرى.»

قال لها بصوت عالٍ: «إلى اين ذهبت في تلك الاثناء؟»

وضعت روزي يدها المرتعشة وقبضت عليها بالأخرى.

قالت بهدوء: «سأغادر الآن. يجب أن احضر بعض المسوّدات الأولية للقاء القادم.»

«اريدك هنا غداً في تمام التاسعة. سأكون هنا بانتظار بعض المكالمات. يمكن ان تسوي امورك او اي شيء آخر بينما اعمل. وبإمكاننا تناول الغداء سوية.»

احتجت قائلة: «لا حاجة لي بهذا البتة، يكفيني ان اعمل إلى جانبك في موقع عملي.»

نظر إليها بحدة وقال: «الساعة التاسعة. لا تكوني صعبة المراس، أو سأبحث عن مهندس في مكان آخر.»

نظرت اليه بقساوة، ورددت بقوة وهي تسير باتجاه الباب: «إذاً، الساعة التاسعة.»

www.elmanaracom

الفصل الرابع

«وصلت متأخرة.»

كان جاك ينتظرها حين اندفعت فوق الدائرة الكبيرة للرواق. واقفاً عند اعلى العتبة قبالة الأبواب الرئيسية ثانياً قدمه طاوياً ذراعيه. كان قماش معطفه بلون زرقة البحر مشدود على كتفيه.

«لست متأخرة. حسناً، اقل من دقيقة ونصف.» ردت روزي، محدقة في ساعتها، متحدية عينيه بتصميم. لقد اختارت لهذا اليوم لوناً أزرق داكناً، ومعطفاً قصيراً، وبنطالا فضفاضاً واسعاً من اعلاه ضيقاً من اسفله، كان مناسباً لزيها. اختارته ظناً ان خطوطه المتقشفة ستثبط عزيمته. لكن فيما راحت تعبر الممر تبين لها انها حاولت عبثاً. فجاك لم يكن الرجل الذي يفقد عزيمته.

عقب بهدوء فيما كانت تقترب منه رافعة الرأس: «تبدين جميلة بشعرك المرفوع.»

كان هناك شيء في طريقته بالحديث اشعرتها بأنه لن يمضي بعيداً. ومع هذا، هزت رأسها علامة الموافقة المهذبة.

قالت ببرود: «صباح الخير، يا جاك.» انقضى اسوأ ما في الأمر. لا شيء اسوأ من البارحة. شعرت انها مهيأة لمواجهة كل شيء يلقيها به اليوم. لكن مجرد ان اقتربت منه شعرت باعصابها ترتجف. فهي لم تفلح في تهدئة

روعها ونبذ حقيقة وجوده جذاباً كسابق عهدها به.

قال متجاهلاً تحيتها: «لم اتناول فطوري بعد. بوسعك مرافقتي.»

ردت بتنميق: «لقد تناولت طعامي للتو.»

أجابها بصوت متعجرف: «لست بحاجة للأكل. عليك بالجلوس فقط.»

«لأجل ماذا؟ ألكي استمع لالقاء ملاحظات مزعجة اضافية عني؟ ايساعدك هذا على الهضم؟»

اجابها بصوت لاذع: «لنقدر على مناقشة امور هذا البيت، معتبرين انك مازلت ترغبين متابعة العمل.»

خفضت روزي عينيها الداكنتين وتبعته باذعان. كم من الوقت عليها ان تتحمل اصراره بالهيمنة؟ كانت غرفة الطعام بسيطة ومهواة. توجه إلى الجزء الجانبي لتناول صحن الأكل وزجاجة من عصير البرتقال الطازج. جلس وفتح نسخة من صحيفة فاينشال تايمز، وبدأ بقراءتها فيما كان يأكل. لم يعرها اي اهتمام على الاطلاق.

راح غيظها يعلو وينحسر. لم يكن هناك ما يسمح له بتكديرها. الم يؤذها ما فيه الكفاية؟ ولن تعاد الكرة. ستتجاوزه. انصاعت لقيادته، واسعفت نفسها بتناول القهوة في فنجان فضي ثقيل، ومن ثم انتقلت إلى كرسي منخفض، عبر الطاولة المزدانة بنقوش الورود حيث كان جالسا، منزوياً وراء صحيفته.

اطبق الصحيفة ووضعها بجوار صحنه: «حسناً؟» سأل وعيناه تضيقان ووجهه متنبه يقظ.

«حسناً ماذا؟ لم تبدأ بعد الحديث المفترض ان تشرع به.»

«من المفترض ان هذا هو عملك. يفترض أن تزودني بالافكار النيرة، اليس كذلك؟ او على الأقل هذا ما ظننت انني ادفع لك من اجله.»

«انت لم تدفع قرشاً بعد. وحتى حين تفعل ذلك، اشك ان رأسي مليء بالأفكار. فأنا لا افيض في شركة فئران.»

قوس حاجبيه: «إذاً، أنا فأر؟ حسناً، اعتقد ان المشكلة مشكلتك، وليست مشكلتي. اخترت الزواج من فأر. وأنا اخترت الزواج من امرأة شابة جميلة. اذا نظرنا للموضوع من وجهة نظري، فأنا اعتقد اني خرجت من الموضوع افضل حالاً منك، الا تعتقدين ذلك؟»

«على الأقل، خرجت من الأمر مرفوعة الرأس.»

«حسناً فعلت.»

كان هناك شيء يبعث على الارتياح في طريقة لفظه هاتين الكلمتين، ماذا جلب وراء ذلك؟ عبست رداً عليه.

قال: «اسدلي شعرك يا روزي.»

اتسعت حدقتا عينيها بدهشة ميؤوسة: «يا له من شيء رائع يطلب!»

لم يقل شيئاً، لكنه انطوى قليلاً في مقعده وتطلع إليها من خلال عينيه المزمومتين، التي اندفعت من زاويتيهما خطوط مستقيمة بكل الاتجاهات.

كانت متيقظة لإمعان النظر بها، متنبهة جداً. شعرت بتورد دافىء في رقبتها.

ضحك بخفة: «لماذا أنت متوردة يا روزي؟»

«أنا لست متوردة خجلاً، بل مغتاظة فقط. انت تتمادى كثيراً. أنا ذاهبة.» ودفعت كرسيها بعيدا عن الطاولة.

نهرها قائلاً: «لا. ابقي هنا. اريد أن اتحدث واياك.»

استشاطت غيظاً، وأجابت: «وأنا لا أريد سماعك.»

ومع هذا... قام بحركة لا مبالية، كأنه يومىء لها بأنه لا خيار امامها. وانحنى على الطاولة باتجاهها، متفرساً بها وامرها من جديد: «اسدلي شعرك.»

«ماذا؟»

«لقد سمعتني. اسدلي شعرك. تبدين مختلفة بهذه التسريحة.»

عقبت بسخرية: «وانت تود ان تتذكرني دائماً كما كنت؟ ما اعذبك.»

«شيء من هذا القبيل.»

حين انتصب، ظنت للوهلة الأولى انه قام ليجلب كعكة او فنجان قهوة، لكنه دار حول الطاولة وفك مثبت الشعر الكبير فانهمر شعرها الكثيف والطويل حول كتفيها وإلى منتصف ظهرها. ثم بحث لنفسه عن كعكة وفنجان قهوة.

بقيت روزي مسمّرة في مقعدها. رفعت ذراعيها إلى رأسها وراحت تسدل خصلات الشعر البنية.

قالت بصوت غاضب: «البارحة قلت لك الا تضع اصبعاً واحداً عليّ مرة اخرى.»

«فعلاً، قلت ذلك.» اقر بهدوء، وهو يكسر طرف الكعكة ويمسحها بالزبدة والمربى. «بماذا توعدتني البارحة؟ باتهامي بالاعتداء عليك؟» واماء بوجهه باتجاه الهاتف الموضوع جانباً. وتابع: «أنت حرة باجراء اية مكالمة تودين. الرقم الذي تحتاجينه حسبما اظن هو، ٩٩٩.» ووضع قطعة الكعكة في فمه.

www.elromancia.com

ارتعش أنف روزي من شدة الغيظ، ليس فقط بسبب طريقة اكله الكعكة. لم يكن يضع الزبدة على كل الشريحة بل يأخذ كسرات صغيرة ليأكل قدر حاجته. ولا تريد ان تتذكر الطريقة التي تناول بها فطوره. طريقة تحرك فكه المثلث الشكل. لم تكن راغبة في تذكر اي شيء عنه. خفضت بصرها باتجاه يديها المعقودتين، وراحت تتفحص اظافرها.

«هل كنت تعملين بالحديقة، يا روزي؟»

«عفواً...؟»

«أول مرة ذهبت لاقلك لكي نأكل سوية، كنت تنظرين طيلة الوقت، إلى يديك على هذا النحو. لحظت وجود التراب تحت أظافرك وشعرت بالانزعاج الكبير. عندها امرت لك الخادم بأن يجلب الفرشاة الخاصة بالاظافر على طبق من فضة. اتذكرين؟»

طبعاً تذكرت! بل إذا اقتضى الأمر، يمكنها ان تحضر لذاكرتها كل تفاصيل تلك الأمسية.

قالت بنفور: «لا.»

«هل ذهبت إلى الجامعة بعد كل ذلك؟»

«لا.»

«يا له من عار. كان عليك ان تذهبي.»

كانت قد تحدثت مطولاً عن خططها المستقبلية في تلك الأمسية. لاحقاً، وبعد عقد قرانهما، الحّ عليها بمتابعة الدراسة. ادعى حينها انه بوسعهما تمضية اجازات مطولة سوية، وباعتبار انه يتحتم عليه السفر كثيراً بداعي عمله، فسيكون ذلك امراً مستحسناً. شعرت بالسرور لادراكه ان عليها تثقيف نفسها من أجل الأفضل! هه! لكن همه الحقيقي

الوحيد هو ان يتلاعب بعقلها. كان قد اراد لها الجامعة ليتسنى له انفاق وقته مع ايما فيما تحمل جنينه في احشائها. ابتلعت غصتها بصعوبة.

«لم اواصل مسيرة تعليمي. لقد كنت دوماً مترددة بين الميل للفن وللدراسات الاكاديمية. وقررت ان اخذ وقتي لأحسم خياري.»

الحقيقة انها اخفت نفسها عن فضول الاعين كموظفة في شركة تأمين صغيرة في بريستول. وكان والدها هو من شجعها على دراسة مادة ابداعية خلال وقت الفراغ، إذ لم يقو على اقناعها بالعودة لاحد المعاهد. وكل الطلبة الذين ابدوا اهتماماً فائقاً بها فقدوا رغبتهم. وفي ما بعد، حين استعادت حيزاً من ثقتها المفقودة بالنفس، انصرفت لبعض الفصول في معهد محلي وحصلت اخيراً على شهادتها في الديكور الداخلي. وعملت بنجاح كبير في دار استشارة مهمة للديكور في بريستول قبل العودة إلى دورسيت منذ ستة اشهر لتبدأ العمل لحسابها الخاص.

«هل تمتعت بكونك طالبة؟»

«بالطبع.» ليس فعلاً. فقد كرهت الذهاب إلى الدروس في البداية، وكانت حذرة جداً من مطاردة الشبان لها، لأنها كانت تراهم صبية، ساذجين، مائعين، تافهين... مقارنة مع جاك.

«وعندها؟»

«عندها فتحت مكتب في منزلي. حالفني الحظ من البداية، فقد اهتم اوبري بامري وسهل لي الحصول على بعض الأعمال، كذلك فعلت مارغريت... صديقة والدي... لديها محل للمفروشات في دوركستر، هو خليط من القطع

www.elromancia.com

القديمة وبعض المفروشات الاسكندينافية الحديثة. كانت تبحث عمن يقلد لها قطع البلاط المكسورة للمغاسل الجدارية والمواقد وما شابه. قمت ببعض الأعمال لها. لكنها الآن ارتكبت افعالاً شنعاء بحقي. توقعت ان استعين بها حين اتت لتصقل بعض الغرف هنا. على أية حال هو نوع من القطيعة.»

توقف عن الحديث فيما راح يمضغ قطعة من الكعكة.

شحذت روزي همتها، وفقد الحديث طابع الجدية. بدا الآن اقل حدة وصرامة... بخلاف من يتهيأ لتحديها من جديد. كتفت ذراعيها وراحت تتأمله. لقد اصبح مع مرور السنين شيئاً متأصلاً في عقلها. ومع هذا، ورغم شدة بأسه، فهي لم تعد ترهبه بقدر ما ظنت انها تخافه. وحين سارت الأمور عرفت انه سيكون بوسعها الوقوف بوجهه بدون اية مشاكل. كان عفوياً في اقواله وافعاله يقول ما يخطر على باله. ها هي تعجب بذوقه. كان الشق الشخصي في علاقتهما ما يثير مخاوفها، إذ لم يكن لها ان تتجاهل حقيقة ان وجوده يقض مضاجعها بلا هوادة.

«كيف حال ايما؟» تعمدت القاء سؤالها لتثير استياءه. فالتذكير بحبه لشقيقتها من شانه ان يوصد كل تجاوبها معه.

توقف عن المضغ. كان وجهه ساكناً، لكنها احست بشيء يلمع خلف نظراته، وكأن مجرد لفظ اسمها قد بعث فيه السرور: «بالكاد اراها هذه الأيام. ربما مرة او مرتين في السنة، واحياناً فقط لبضع ساعات حين اكون في عمل في نيويورك. انها تعمل هناك الآن.»

إذاً، ليس بامكانه قطع العلاقة معها تماماً.

«هل ستأتي إلى ليتل بورن؟»

قال ببرودة: «هذا يعتمد.»

«على ماذا؟»

«عليك بالطبع.»

«هل تعني ان الخيار بيدي؟»

«أجل.»

حدقت به روزي، وقالت: «حسناً، هذا يستدعي اجراء تعديل. من الأفضل، في هذه الحال، نقل اجتماعاتك إلى منهاتن.»

القت عيناه علامة موافقة باردة، وغاب النور من امام ناظريها.

لوت روزي وجهها في علامة اشمئزاز. تخيلت في قرارة نفسها انه اشترى ليتل بورن كيما تحاول ايما جذبه لها عبر كسب ود والدها، لكنها بدت خاطئة في تقديراتها. شعرت بانفراج، فهي لم تخف ان تفقد ولاء والدها، وهذا غير وارد، لكنها كانت خائفة في ان يتبين لوالدها كم هي شريرة ابنته الكبرى.

إذاً، ما الذي يجري؟ لماذا ابتاع جاك هذا المنزل؟ تنهدت. هذا لا يهم بتاتاً. فهي لن تنخرط في اي من مشاريعه العقيمة هذه المرة، مهما كانت.

ابقت نظرها مشدوداً باتجاه يديها، وجلةً من ان تشرد نظراتها نحوه عبر الطاولة... شعرت بورم يحتقن في حلقها حين تذكرت كم هي سانجة اذ كانت تتلذذ بالتفرج عليه وهو يأكل، بينما تعودت هي الانتظار...

اخيراً، اسند جاك مرفقه إلى الطاولة، وامعن فيها تحديقاً ثم قال: «حبذا لو تركت شعرك مسدلاً.»

حسناً! تعليقات كهذه لها فوائدها. فهي مفيدة جداً لتفريق الغصات بحلقها، للحين على الأقل.

أجابت بسرعة: «ظننت اننا سنناقش قضايا عمل.»

«آه، نعم. ها نحن نناقش. اخبريني بالنسبة إلى بركة السباحة، يا روزي، هل لديك خطة خاصة لذلك؟»

«اجل. بودي لو املأها ماء وادفعك اليها.»

ابتسم ابتسامة باهتة هازئة.

«ويفضل بعد ذلك ضربك على الرأس بأداة غليظة.»

اتسعت ابتسامته.

لم تكن تريده مبتسماً. غيرت مجرى الحديث، وقالت: «حالياً، لدي فكرة بالنسبة إلى بركة السباحة. هناك طلاء من انتاج سورات ذي باذرز، هل تعرفه؟ انه لون جميل ومنعش يجذب ارتياح المستحمين في يوم جيد... حسناً، انا لا اريد ان انقله او اضع خليطاً منه او اي شيء لكي احفظه بعقلي كنقطة بداية. انت تعرف تقنية وضع الالوان على شكل نقاط دقيقة، بحيث يبدو كل السطح ضبابياً... فاللون على الخزف نقي جداً. فهو يحافظ على اتشاحه بعد اطلاقه. ولا يشحب او يزول. لقد فكرت بخلق ظلال كبيرة من النور... من الشمس والضباب والمناظر الطبيعية، دافئة ورائعة.» ودارت على نفسها، ملقية نظرة سريعة عليه.

كان وجهه جاداً، ومتيقظاً مرة اخرى، وقال على نحو قاطع: «تابعي.»

«حسناً، هذا كل شيء. في الحقيقة، ليس لدي ما اضيفه.»

قال مؤكداً: «اعرف الطلاء الذي تعنيه. نعم، يبدو جيداً. واصلي العمل على هذا النحو.»

شعرت بحبور، لأنهما كانا يتحدثان اخيراً، حول العمل، تنهدت متشجعة، تنهيدة ارتياح، وتابعت: «وماذا عن المغسلة... فلدي فكرة جيدة حول هذا. حسناً، اظن انها جيدة، لكن هذا يعود لك بالطبع، ولك كلمة الفصل. لكنني خائفة لأنني مولعة بالتصاميم للمغاسل. ان لم تعجبك فسأشعر بالخيبة لا محالة. على اية حال، لنعد إلى موضوعنا، أنت تعرف دكاكين القصابة من النمط القديم.»

دفع كرسيه بحدة للخلف بعيداً عن الطاولة حين كانت تتابع حديثها، ووقف مظهراً حزماً واضحاً في حركاته. خطر لها انه سيدنو منها من جديد. لكنه انطلق مباشرة نحو الباب.

قال مقاطعاً ببرود: «حسناً. اخبريني في مناسبة اخرى. عندي عمل خاص. سأراك ساعة الغداء عند الثانية عشرة. حسناً؟»

بقيت روزي جالسة فاغرة فاها، فاقدة رباطة جأشها. لماذا كان عليه ان يغادر هكذا فجأة؟ احست ان شيئاً مما قالته اثار ردة فعله... لكنها حقاً لم تقل شيئاً يؤدي إلى هذه النتيجة.

اتى حارس المنزل بعد منتصف النهار بقليل ليذكرها ان حضورها منتظر في قاعة الرسم. كانت قد قامت بتفقد المواقد، آملة الانتهاء من عمل البلاط باقرب وقت ممكن.

كان هناك بالانتظار يتطلع عبر النوافذ الفرنسية للصومعة باتجاه الحدائق المنبسطة نحو اسفل. كان الخشب المشتعل في الموقد يلتهب اتقاداً. وروزي جالسة مستكينة على كرسي فاخر من طراز كرسي الملكة آن بجانب النار دون ان تقول شيئاً.

ابتعد عن النافذة وسألها: «ماذا تودين أن تشربي؟»

ابقت عينيها مسمرتين باللهيب «اوه...»

لكنه انفجر ضاحكاً قبل ان تحضُر جوابها. سألها: «ماذا كنت تفعلين؟»

القت روزي نظرة سريعة على نفسها. كان بنطالها متسخاً ببقع الغبار. حاولت عبثاً ان تزيل الاتساخ عنه.

ردت: «كنت اخذ مقاييس المواقد.»

ابتسم قائلاً: «هناك بقعة على انفك.»

اخرجت منديلاً من حقيبتها ومسحتها.

عقب تباعاً: «الآن اصبح كله احمر...»

قاطعته بشدة وعيناها تلمعان: «حسناً. اتفقنا على انك لست مصاباً بعمى الالوان؟ هذا سيسهل عملي قليلاً. سأشرب ماء منعشاً بالثلج والليمون، شكراً لك.»

ضحك جاك فاغراً شدقيه. وقال عندها: «الماء المنعش. آه... اجل. كي لا تنامين بعد الظهر، لقد فهمت غرضك. إن شرب بعض انواع العصير ساعة الغداء لها ذلك المفعول على بعض الناس، خاصة ان لم يكن هناك ما يؤرقهم ليلاً...»

دفعت روزي خلفاً بخصلات من شعرها عن وجهها بحركة عصبية، وذهبت ببصرها من جديد نحو النار.

تاولها شرابها، ثم جلس على الكرسي المقابل، باسطاً

رجليه قبالة النيران. وقال: «انا احب منظر النيران... ماذا تخططين بالنسبة للموقد في هذه الغرفة؟»

نظرت روزي بهدوء إليه، وأجابت: «ازالته بالكامل. سأبحث عن نوع آخر من السخانات المستعملة.»

كانت عيناه متظللتين بمسحة من المداعبة حين قابلتا عينيها. ابتسم وقال عانياً كلامه: «انت لا تجرؤين.»

«لا. فذلك سيكون بلا جدوى. عليك ان توافق على كل شيء اولاً، والا لن يكون بمقدوري عمل شيء على الاطلاق، مهما رغبت فيه. انا استمتع كثيراً بعملي لافسد الاشياء على حسابك، وانت لا تستحق ذلك.»

«لنفترض انني تخليت عن حقي بالاعتراض على تصاميمك؟ لنفترض انني اعطيتك الحرية المطلقة لتفعلي ما تشائين بالمنزل؟»

«كأن ابيعه لزوج عادي مع اثنين او اربعة اطفال؟ هذا النوع من الناس الذين يمكن لي ان استمتع بهم كجيران.»

«مثل هندسة ديكور المنزل بالكامل وفق ذوقك الخاص.»

اجابته: «هذا سيكون رائعاً، سيعجبني ذلك. فالزبائن دائماً هم العقبة الرئيسية امام عملي. وللأسف الشديد، على المرء ان يتصرف وفق أهوائهم. إذا انطلقنا من هذا الاساس فانت تشكل معضلة كبيرة، ولذا فإن مجرد التفكير بعمل اي شيء لارضائك يجعلني اصاب بالسقم، لا اعتقد انني افضل شيئاً أكثر من اعفائي من هذا الواجب.»

مال برأسه قليلاً، وقال: «حسناً إذاً. اتفقنا. قومي بتزيين المنزل تماماً كما لو كان ملكك، ما عدا بركة السباحة. كنت افكر...»

www.elromancia.com

«معذرة، لكني لا اخالني فهمت قصدك خطأ... هل قلت حقاً انه بوسعي عمل ما اشاء؟»

«ليس تحديداً، قلت انك حرة في تزيين المنزل كما لو كان ملكك. آخذا بعين الاعتبار انك المحت إلى رغبتك بحرماني من المدفأة، دون ان أشير إلى منزلي، لا اظن أنني سأذهب بعيداً لادعك تفعلين تحديداً ما تشائين... حسناً، على اية حال، لنعد إلى بركة السباحة.»

«لكن لماذا؟»

رد بسرعة: «لِمَ لا؟ انني مشغول. لقد شاهدت ما يكفي من عملك لأكون على يقين انك لن تخيبي ظني. بكل تأكيد فإن أوبري يقدرك تقديراً عالياً.»

كادت روزي أن تطير من الفرحة، لكنها تمالكت نفسها في الوقت المناسب. فهي يجب ألاّ تدع نفسها تقع أسيرة هاتين العينين الزرقاوين، ولو للحظة واحدة. نظرت اليه نظرات شك، فعليها ان تتذكر ان هذا الرجل خدعها ذات مرة بدون رادع. بوسعه إذاً خداعها مرة اخرى. لكنها مهما فكرت فلماذا سيقدم لها عرضاً مثل هذا ليوقع بها مجدداً. ما الهدف المحتمل من وراء كل هذا؟

ضاقت عيناه، وقال: «توقفي عن نظراتك الشزرة نحوي، وانصتي إلي حين أتكلم. اظن ان أوبري ذكر لي شيئاً يتعلق بمعرفتك بالفنادق؟»

«اجل، قال شيئاً من هذا القبيل، انا لا فهم حقاً. لقد ظننت ان هيلاك كيبيك منصرف للتنمية الصناعية واسعة النطاق؟ او هل قررت ان الوقت قد حان لتنتقل إلى حرفة خدمة غرف النوم؟»

«هل بوسعك الكف عن الدوران حول نفس النقطة؟»

«أجل. هكذا كنت دائماً. اتذكر؟»

«اقوم بالتنويع. فهيلاك كيبيك تعتبر اليوم شركة ضخمة. انني ارسم معالم سياسة لاتباعها، ولدي فريق عمل يتخذ القرارات اليومية عوضاً عني. وبغض النظر عن المنافع المالية التي يعنيها التنويع، فإنني لا احبذ الانصراف كلياً إلى مشروع اصغر يستنزف وقتي. ولذا فقد اشتريت عدداً من البيوت الريفية المهدمة لأرممها وسيلحق بكل منها مسبح ونادي صحي. وقد جذبت انتباهي فكرتك باستخدام البلاط في المسابح. بودي ان ارى امكانية عمل شيء لتأمين التسهيلات الرياضية استناداً لفكرتك وتطبيقها على كل الفنادق. سآخذك معي إلى لندن لنتحدث مع اوبري بهذا الشأن، مجرد وضع افكارك موضع التطبيق.»

«لا، لن تفعل.»

«ولِمَ لا؟»

«أنت لن تأخذني إلى اي مكان. انا سأنتقل وحدي إلى لندن إذا دعت الحاجة لذلك.»

«هذا لا يسبب لي أي نفقات اضافية.»

اجابت روزي بسرعة: «اعتقد انه بوسع كرايساليز تمويل الرحلة.»

«وإذا ما قررت نقل اللقاء إلى ميلان؟»

رمقته روزي بنظرة ذابلة: «انس ذلك يا جاك، لا ادري ما الذي تنويه، لكن هذا لن يعطي اية نتيجة.»

قال بلطف: «لا؟»

راح يبتسم من جديد. لكن عينيه كانتا تلمعان خلف

الاطراف الداكنة لجفونه وازدانت اطراف عينيه بتلك الخطوط مجدداً. كانت روزي تتقلب ضيقاً في مقعدها.

عاد جاك لممازحتها خلال الغداء. كانت تجربة صعبة، وهي تراقبه يلقيها بالمزاح اللطيف المبطن. كانت روزي مستندة إلى مقعدها بعيداً عن الطاولة معظم الوقت، متيقظة بحذر لخلطه بين عملها وشخصها.

وأخيراً، حين كانت تتناول القشدة والفريز، قررت مقاطعته.

«لِمَ لا تخبرني بما تريد، يا جاك؟ هل تريد شيئاً مني. كنت غبية جداً في المرة الماضية واستطعت ان تغرّر بي. لن تكون هناك مرة ثانية. يمكنك ان توفر على نفسك الكثير من العناء باخباري ما تريد.»

زمّ احدى زوايا فمه ولواها: «والآن، لماذا تظنين ذلك؟»

«لأنك مراوغ، وجرذ مكار.»

«وأنت..؟»

«بالمقارنة معك. انا مجرد فأرة حقل صغيرة وخائفة.»

ضم شفتيه علامة الموافقة. وانتشرت خطوط مرحة على وجهه. بدا جذاباً يفطر القلب. فنظرت مركزة بصرها فوق كتفيه.

سألها: «هل يعجبك المنزل؟»

«لم تجب عن سؤالي.»

«ولا أنت.»

«حسناً. انه لبيت جميل. كنت في الواقع اتردد عليه وانا صغيرة. كنا نعرف الاسرة المقيمة هنا حينذاك. لقد راق لي دائماً.»

«اعرف.»

انتفضت روزي. لا بد انها ايما. آلمها التفكير بأنه قد يعرف عنها الكثير، فيما لا تعرف عنه شيئاً عملياً. وأخذاً بالحسبان ميلها الطبيعي للثرثرة، فقد اسرفت جداً بالحديث خلال تلك الأيام الماضية. كان ممسكاً بالوضع بيده، كيفما نظرت للأمر.

«لماذا اشتريته؟»

«اعجبني أنا ايضاً.»

«اوه. هيا! أنت لا تحاول اقناعي بانها مجرد صدفة اختيارك له على بعد ميلين من منزلي؟»

«لا.»

أحسّت روزي بالاحمرار مجدداً. انه هو المعني بابلاغها الحقيقة، والآن باعتبار ان الحديث انصب بهذا الاتجاه صارت تجد ان استقصاء الحقيقة اصعب مما كانت تتصور. القت برأسها، متمنية لو تركت شعرها منسدلاً.

«وماذا في هذا؟» قالت باصرار، رغم انزعاجها، محاولة ابعاده عن الموضوع.

«انها بعيدة جداً عن لندن بحيث لا يتوافد اليها الناس. واعجبتني فكرة اختيار جيراني وفق ما يحلو لي. وبدا لي ان القاطنين هنا مثيرين جداً للاهتمام.»

أجابته باصرار: «هذه مجرد طريقة اخرى لتقول انك انتقلت إلى هنا لتشكل عثرة في حياتي بطريقة ما. أليس كذلك؟»

«نعم.»

لم تر انساناً قط متلوناً مثله ليستمر في اصراره على الموضوع؟ مهما حصل لن يأخذ موقع الصدارة فيه!

تساءلت بشكل مقاطع: «حسناً. آمل ان يجعلك البيت سعيداً جداً! لأنه بوسعي التأكيد انك لن تحصل على منالك من ذاك الجار.»

أجابها باقتضاب: «انني سعيد دائماً، يا روزي، خاصة الآن.»

تمتمت قائلة: «كاذب.»

«آه. لا. يجب ان احصل على ما اتيت من اجله. أنا واثق من ذلك.»

هزت رأسها باصرار.

«هل انت سعيدة، يا روزي؟» سألها حين فشلت باطلاق تعليق ما.

وردت بحدة: «للغاية.»

«كاذبة...» رد عليها بنبرة رقيقة، بطيئة بحيث اشرأبت شعيرات رقبتها الناعمة.

عبست في وجهه. فانزعاجها الحاد والمفاجيء له لن يكبح تجاوبها. «طبيعي، فأنا لا احس نفسي ارقص طرباً بحضورك. لكن اؤكد لك اني فاعلة ذلك حين اذهب من هنا. ولن اكون عندها الا اكثر بهجة.»

«اليست الراحة سعادة.»

رفعت بصرها نحوه: «الراحة هي كل شيء حين تكون قد تذوقت كل الخيارات، يا جاك.» قالت ذلك بصوت هادىء لتعلن بالنهاية عن حقيقة مشاعرها. وازاحت بعض خصلات الشعر عن وجهها.

هز رأسه ناظراً اليها، وعقب قائلاً: «لقد هدأت الآن. لم تعودي غاضبة.»

«ما الذي يدعوك لقول هذا؟»

«خصلات الشعر هذه التي تتأرجح على وجهك، هي معيار مزاجك، يا روزي. حين تنفخين عليها لتبعديها فانت تشعرين بالمرح والابتهاج. حين تلقين بها إلى الخلف فانت مطرقة بالتأمل والتفكير. وتلفينها حول السبابة كاللولب حين تكونين مغتاظة.»

قالت ضاحكة: «لا يمكن ان يكون هذا صحيحاً، فيدي معقودة في حضني.»

هز رأسه وقال: «لا. انت لست غاضبة مني. لست في الواقع. وانت لم تكوني غاضبة منذ اتيت لتناول وجبة الغداء. وانا اعتبر هذا علامة حسنة. وكما قلت، ليس بمقدوري ان اكون اكثر سعادة.»

دفعت روزي بصحنها بعيداً عنها، وواجهت عينيه.

«هل لي ان اعيد المعروف، يا جاك، هل لي ان اخبرك بما توحيه تقاسيم وجهك؟»

«كوني ضيفتي.» قال موافقاً بدون ممانعة.

«انها عيناك يا جاك. لقد دربتهما لتكذبا لحسابك. قبل ان اكتشف ذلك، وجدتهما مخادعتين بالكامل. الآن، لأني اعرف ذلك، بوسعي استعمالهما لأقرأك ككتاب مفتوح. حين تختلط عيناك بالصدق والاخلاص، بوسعي التأكد انك تطلق الاكاذيب من بين اسنانك.»

ضحك مجدداً. لكن هذه المرة بما يدل على استمتاع جاد. ما قالته لم يعن شيئاً بالنسبة له.

عادت روزي إلى ذاكرتها بازدراء. لا شيء من كل هذا. لم يكن سعيداً حقاً بمرافقتها. لم يكن يتسلى بما قالته. ربما لم ترق له تصاميمها كثيراً. شعرت بسقم ينتابها. كل هذه الدردشة بدأت تقرفها.

بالكاد فرغت من تناول رشفات القهوة الالزامية، تأهبت للمغادرة مدعية وجود موعد لديها.

زمّ جاك عينيه، انتصب بتباطؤ، وقال: «سأرافقك حتى الباب.»

ولدهشتها، فقد القى بذراعه على كتفها حين راحا يعبران البوابة المؤدية إلى القاعة ذات الجدار الضخم من السنديان.

قال بابتسامة خاطفة: «سأقلك الساعة السابعة، حسناً؟»

انتفضت للخلف: «ليس تماماً. امسياتي ملك لي.»

«لا، ليس كذلك. سأقلك لتناول العشاء.»

هزت روزي رأسها بهدوء واعادت باصرار: «لا، يا جاك.»

لكنه حدق بعينيها. وقال: «ما زلت احبك، يا روزي.» كان صوته مشحوناً، ناعماً، وخطيراً. بقدر ما كانت عيناه: «رغم كل شيء فأنا ما زلت اريدك. لذا سأتعقبك من جديد. بدءاً من هذه الليلة.»

راح قلب روزي يخفق بانفعال. كيف تواجهه على هذا الحال، وهي قريبة منه إلى هذا الحد، وعيناه تتحديانها برفق.

«لا.» اصرت وهي تنتفض.

فك مثبت الشعر الذي حول تسريحتها لضفيرة سميكة

تنساب من مؤخرة رأسها. انهمر شعرها كالشلال، وراح يمشطه باصابعه، ويسدله على كتفيها، وحول وجهها. انتفضت بعيداً عنه، فيما عيناه مثبتة عليها.

«لا...» قالت باصرار اكبر.

همس بصوت جاف: «انك تعيشين ذات الشعور ايضاً، اليس كذلك؟ الا تحسين ذلك، اما بوسعك؟»

تمتمت بصوت منقبض: «لا ادري ما تعنيه.»

كان ذلك اسوأ ما تقول. تفتح ثغرها عن ابتسامة منافقة. سألها: «احقاً هذا؟»

ازاحت رأسها جانباً، واندفعت إلى الوراء بخطوات حادة.

قالت وهي تصر على أسنانها: «توقف عن هذه الألاعيب، يا جاك.»

قال بلطف وهدوء: «ليست الاعيب، يا روزي.»

«جاك، انت لا تريدني حقاً. ليس بوسعك!»

«آه، لكني اريدك.»

«حسناً، انك تضيع وقتك. لن تفلح في مسعاك.»

«أحقاً تعتقدين؟»

«نعم.»

«لماذا لم تخبري والدك حول زواجنا؟»

رفعت روزي رأسها بحركة سريعة وواجهت عينيه ببرودة.

«لا يبدو موضوع ذو شأن كاف لازعاج الذات بذكره.»

«اوه يا روزي، هذا ليس صحيحاً، انت تعلمين ذلك.»

وتطلعت نحوه غاضبة: «لماذا تزعج نفسك بالاستفسار وانت تعرف الكثير؟»

قال من جديد وهو يهم بالخروج: «السابعة.»

«لا...» قالتها وهي متسمرة في مكانها، لكنه صار بعيداً. ولو سمعها، فهو لن يتقبل ذلك.

الفصل الخامس

حلت مارغريت متأخرة تلك الأمسية. كانت ضفائرها تتماوج وتهتز ثنايا تنورتها الحمراء المقلمة فيما تنزل من سيارتها الرياضية القديمة. لقد تعرفت روزي عليها منذ سنوات، وربطت بينهما صداقة قوية رغم فارق السن، وذلك خلال الشهور القليلة التي اعقبت عودتها. امتازت مارغريت بقلب دافىء وحس جيد بالمرح ويد ثقيلة عند استخدام المساحيق التجميلية. وكان لها زوج سابق قالت فيه أفضل ما عندها، ورغبة قوية لاستبداله بمن يكون أكثر تناسباً وإياها. وبالتالي، فان معاييرها كما لحظت روزي كانت صعبة المنال. رغم ادعائها بأن أي شيء بمحفظة جيب منتفخة ولسان متمدن يفعل فعله.

«شاي أم قهوة، مارغريت؟»

وقفت المرأة الأكبر سناً وأشارت إلى ازدياد وزنها وقالت: «قهوة... سادة، بدون سكر. سأعود إلى الريجيم.»

«ما اسمه؟» دمدمت روزي، وهي تضع أواني من الفخار.

أطبقت مارغريت بقوة على شفتيها المطليتين بإفراط واطلقت ابتسامة هازئة: «هل يبدو عليّ ذلك بوضوح؟»

«نعم.»

هزت كتفيها علامة لامبالاة. «اسمه جاك هيلاك، انه فاتن وقد اشترى ليتل بورن. آه، إنه ليس مرتبطاً اجتماعياً.»

أحست روزي بابتسامة مقبوضة على وجهها: «آه...

www.elromancia.com

حقاً، لقد التقيته. أنا أقوم بهندسة ديكور المكان القديم له. كنت سأشير إلى هذا. هناك الكثير من العمل الذي سيصيبك أيضاً، كما أتوقع.»

«آه، أتعنين انه وضع عينيه عليك؟ إذاً، لا مانع لدي في سكب السكر. لكن، إذا فكرت ثانية بالأمر، ربما يفضل هو النوع الناضج، من يدري...» ألقت مارغريت برأسها للوراء وأطلقت واحدة من ضحكاتها الخارجة مزمجرة من الحلق. «في الحقيقة هناك شيء في ما تقولين ينبئني بأن الطريق مفتوح أمامي نحوه. ما الأمر يا روزي؟»

«اسكتي، يا مارغريت.»

«بكل تأكيد، يا عزيزتي. الآن أين هي قهوة والدك؟ سأعطيه فنجانه ان كنت مشغولة.»

«أنت تعلمين تماماً ان لديه غلاية في الاسطبل. وهو يكره ان يقاطعه أحد أثناء عمله.»

«لكننا أصدقاء قدامى يا روزي... وهو لن يمانع.»

«حسناً أنت تعرفين تماماً انه سيمانع. وسيصرخ فيك ويطردك لمقاطعة تركيزه. تصرفي يا مارغريت. أنت تودين رؤية الرجل مهما كان الثمن.»

هزت الضحكة هذه المرة الأكواب في الصينية. لقد اعطت الطبيعة مارغريت واحدة من أجمل الضحكات الممكنة في أنثى مثلها. «لا تكوني ساذجة. أنت تعرفين أنني لست مهتمة بمقاطعة والدك العزيز.»

«لا أدري لماذا. فهو يكسر الحطب.»

«لكنه متزوج، يا عزيزتي من عمله الذي يستغله. لن يقبل بي، أنا خائفة. لذا سيستمر البحث.»

تبسمت روزي. لا يمكن للحياة أن تكون سيئة طالما هناك أناس مثل مارغريت على وجه الأرض.

استمرت دردشتهما إلى ان دخل داني ويلز، وذقنه مغطاة بالغبار وعيناه تدلان على السخط المختبىء خلف أهدابه.

«أليس العمل على ما يرام، يا أبي؟»

«شنيع. اني اشتغل على سيدة لعوب ويبدو اني لا أقدر على وضع انحناءاتها في المكان المناسب.»

دفعت مارغريت بوجنتيها وبطنها إلى الداخل، في آن معاً: «سأتقدم كعارضة أزياء، لكني أهاب ان مظهري هزيل لا ينفع لمثل هذا العمل.»

حدق داني بعينيه غير مصدق وقال هازئاً: «آه، يا مارغريت. يا لقوة التفكير الايجابي. لا شك انك عدت للريجيم. ما اسمه هذه المرة؟»

زمجرت مارغريت.

تسللت روزي بلا ضجيج خارج المطبخ. لم تكن راغبة في سماع بقية الحديث، وخاصة الاطراء على اسم جاك هيلاك من شفتي مارغريت الغارقتين في القشدة والفريز. لا شك انها لم تكن راغبة بالتواجد كي لا ترد على أي سؤال أخرق.

استحمت بسرعة ونزلت إلى غرفة الجلوس مراقبة الباب الأمامي. حتى إذا حضر جاك كما وعد بامكانها أن ترد بسرعة وتتخلص منه قبل أن تحس مارغريت أو والدها بوجوده. إلا ان سيارته السوداء الكبيرة اندفعت على الطريق الساعة السابعة وست دقائق.

www.elromancia.com

«اذهبي وارتدي ملابسك.» قال لها حين شقت الباب مستبقة قرعه له.

كذبت بصوت ملؤه التحدي: «لقد أكلت للتو.»

«لقد تحدثنا اليوم حول هذا. والجواب هو نفسه، لست بحاجة لتأكلين، كل ما عليك هو الجلوس.»

«لا، ولا حتى هذا.»

«حسناً ابقي واقفة إذاً، لكنك آتية.»

«لست بآتية.»

كتف ذراعيه وأمعن النظر فيها فيما عبست بوجهه. ادخل قدمه بين حافة الجدار والباب وقال: «هيا، اسرعي.»

«لا.» وراحت تدفع الباب لتغلقه.

سألها ببرود: «هل والدك في الداخل. بودي مقابلته.»

«لا.» صاحت بصوت قاطع. لم تجرؤ على المجازفة بالمزيد. لا شك ان والدها كما هو طبيعي، سيوجه أسئلة واستفسارات، وعندها لا محال سينفضح كل شيء وستفطر الحقيقة قلبه. قالت مستسلمة: «اذهب واجلس في سيارتك. سأغير ملابسي وأكون معك خلال خمس دقائق.»

ابتسم موافقاً، وراح يمشي ببطء نحو السيارة. انتظرت إلى ان جلس خلف المقود وأغلقت الباب قبل أن تهرع إلى الطابق العلوي، ملقية بسترتها فيما راحت تبدل ثيابها.

بعد وقت قصير، كانت جالسة على المقعد الوثير الأنيق امامه من السيارة.

قال لها: «حسناً. خمس دقائق. هذا تحديداً هو الوقت الذي استغرقه ارتداء ملابسك آخر مرة. يبدو انك بت تفهمين قوانين اللعبة.»

نظرت إليه بطرف عينها، وقالت ببرود: «آخر مرة ارتديت ملابسي بسرعة لأني كنت متلهفة بألا أدعك تنتظر. كنت مفتونة بك حينذاك والليلة يختلف الوضع، أنا لا أريد أن أكون هنا. بودي استنفاد الأمسية بأسرع وقت ممكن.»

أدار المحرك واندفع بالسيارة. «لقد بدوت عذبة في ثوبك الأبيض.» قال لها بنعومة وهو يخفف سرعة سيارته ليدخل في شارع القرية الضيق. «لقد تبدل ذوقك في الملابس. انه جيد... أكثر حدة وأكثر برودة مثلك.»

نظرت روزي إلى ثوبها. كان بسيطاً للغاية، مصنوعاً من قماش الكريب المجعد الأصفر. كان لوناً صعباً للارتداء، لكنه بدا رائعاً على بشرتها العسلية وعينيها الداكنتين.

ربما كانت أكثر حدة وأكثر برودة، ولكنها كانت فخورة بأنوثتها، فالثوب المزركش الأبيض أشعر كل العالم أنها فتاة فريدة من نوعها. لم ترتدي ذلك الثوب مرة أخرى... ولا أي ثوب مثله... منذ ان كانت مع جاك يوم زفافهما. ومع هذا فمهما كان الأثر الذي يمكن لثيابها ان تتركه في العالم، فذلك لا يهم لأنه لم يقتحم حياتها أي رجل بعد جاك.

وكأنه يقرأ أفكارها، قال: «ليس من رجل في حياتك يا روزي؟»

كان حبل الكذب قصيراً: «ما من أحد في الوقت الراهن.»

قال بصوت هادىء وعيناه مثبتتان على الطريق: «مذ كنت معي.»

«أنا... بصراحة ما الذي يدعك تقول هذا؟»

أمال بوجهه نحوها وألقى عليها ابتسامة هازئة: «صديقة مدرسة قديمة لايما قالت شيئاً منذ بضعة أشهر...

ان شقيقها دعاك للخروج معه، على ما يبدو دفعني هذا للتفكير. وحين وجدتك اليوم... عرفت.»

«أنت على خطأ تام.» قالت ذلك بلهجة احتجاج. لكنه تجاهلها. وظلت الابتسامة مرتسمة على وجهه.

سألها بهدوء: «هل ما زلت تعملين في الحديقة، يا روزي؟»

تنهدت بقلق، وقالت: «هل بوسعنا الحديث عن المنزل من فضلك؟»

«لا. لم يدر في خلدك انك ستصبحين مصممة ديكور في الليلة الأولى. نحن لم نتذكر ورق الجدران يومها.»

أطلقت روزي ضحكة مرارة. «هل يعني ان علينا معاودة حوارنا الأصلي، كلمة كلمة؟ أهذه هي اللعبة التي نحن بصددها؟»

«لا. أعني انه بوسعنا الحديث عن أي شيء وعن لا شيء. تماماً كما فعلنا تلك الليلة. لم يكن لما قلناه أهمية تذكر. قلنا كل الأشياء التي شئنا قولها لكننا تراجعنا عنها، أليس كذلك يا روزي؟»

أشاحت بوجهها عنه باتجاه النافذة. بدأت العتمة تلقي بظلالها. راحت المشاهد الطبيعية تجمع ما بين اللونين الرمادي والبنفسجي. وتمتمت بصوت عابث: «هل هي على هذا النحو؟»

«أنت تعرفين ان الأشياء كانت على هذا النحو. والليلة ستكونين على هذا النحو. سنجلس لتناول العشاء، سأنظر إليك وستنظرين إليّ، ويمكن ان نتبادل الاعجاب من جديد.»

ردت متثاقلة: «أنا أكرهك.»

هز كتفيه. وتمتم: «كما قلت، ليس ما سنتحدث به من أمور هذه الليلة هو المهم. فالكلمات لا معنى لها، ولذا لا يمكن ان نبحث في أمور العمل. علينا ان نفكر ملياً بالكلمات إذا ما تحدثنا بأمور العمل. على كل حال، لم يكن العمل الجامع بيننا في تلك الأمسية...»

زمت روزي فمها. «هذا هراء. كنت هناك لعمل ما، يا جاك. لم يكن لقاء صدفة بالنسبة لك.»

نظرت إليه بغضب. لقد أصاب التعليق منه منالاً. ورغم العتمة التي تلفهما، كان بوسعها أن ترى احتقان بشرته، والحركة القاسية التي بدرت عن فكه بعد تعقيبها.

ظل صامتاً بقية الطريق. تغير مزاجه مجدداً بينما كانا يصلان الفندق. كان على حق، فقد تجانبا أطراف الحديث خلال الوجبة، لكن بغير ذات أهمية كانت طريقة اطلاق العنان لكلماته الشكل الذي ملأ فيه الفراغ عبر الطاولة. رغماً عنها راحت اللعبة تمضي. أرادت روزي اراحة رأسها على الثوب المزركش وان تندب حظها. لا مجال للمتابعة في خوض لعبة تعرف انك لن تكسبها.

كانت تسأل وترد بفتور، بدون الحماس الذي جعلها تمزح وتضحك وتعض على شفتيها عند ذات الطاولة، منذ أربعة أعوام مضت.

بعد بضعة أيام اتصل بها هاتفياً وطلب منها الحضور إلى القاعة لتلقي نظرة على بعض الأثاث الذي جلبه من لندن، ولترى كيف يمكن ترتيبه.

«لكن مارغريت هي الخبيرة. أما بوسعك طلبها لرؤية الأثاث؟»

قال بلهجة مشددة: «أنت تتخذين القرارات وليس هي.»

كان على حق بالطبع. وكان جوابه شافياً. لذلك عليها بالذهاب.

وقبل ان تغادر السيارة قال: «تعالي. لتري الحديقة.»

«أتريد تصميم ديكور الحديقة؟ حسناً، انه أمر غير مألوف، لكني أعتقد ان بوسعي ذلك.»

«بالتأكيد، وأنا أرغب في سماع رأيك.» ورمقها بنظرة جافة من تحت حاجبيه المستقيمين.

الآن ما معنى هذه النظرة؟

كانت وسامته تربكها، خاصة لأنه حين يبدو لائقاً ومحبباً، ينظر إليها على هذا النحو فتشعر بجاذبيته أكثر من أية لحظة أخرى. كانت تحس نفسها مخدوعة، وغاضبة نتيجة ضعفها وانهيارها. كانت ترغم نفسها على تجاهله. لم تتردد في مرافقته لرؤية الحدائق. وبالتالي، بدأت تلحظ ان هناك أمراً ما.

الأرض كانت تمتد برقعة من ثلاثين لأربعين أكر.

«سأنشر عينات البلاط. لكننا نتحدث عن مبلغ كبير يا جاك، وعن معدات تمهيد الأرض، فريق عمل كبير. أنا سأبني ثروتي، وأنت ستخسر ثروتك.»

«كفي حديثاً عن البلاط، وقولي لي فعلاً ما تبتغين عمله.»

«لماذا تسأل؟»

«ستكون هذه حديقتك يوماً ما. بودي أن أعرف ما هي رغبتك. على أية حال، أنت خبيرة ويجب أن تكون لديك بعض الأفكار.»

«حسناً، اعتبر ان ذلك أمراً يغري... نعم...»

همهمت قائلة: «أفكر بمحطة تجارية في أرض الحديقة هناك... تعرف، واحداً من هذه الأشبه بالصندوق بلون أزرق لماع. وهناك حيث توجد مساحة صغيرة تغطيها الأشجار، ربما قصر، محاط بأسوار عالية، وطريق معبدة صغيرة بين الحدائق المختلفة، ومحطة مطافىء في بستان الفاكهة... ومركز أشغال بالاسمنت عند المرجة الخضراء...»

«حقاً، هل تتكلمين بجدية؟»

«بكل جدية. أود ان تكون حديقة شخص آخر، ألا تعجبك الفكرة؟»

«كلك عذوبة وخفة ظل يا روزي.»

«أليس كذلك؟ من الجيد انك بدأت أخيراً تستسيغ وجهات نظري، يا جاك.»

«حسناً. ألا تريدين كل هذا للهو؟ مطابخ حدائقية، أعشاب حدائقية... بوسعك عمل كل ما تشائين...»

ألقت روزي نظرة فاحصة على أرض الحديقة المقابلة لها. «هممم... أجل الفكرة تبدو رائعة. ربما متاهة لأضيّعك بها. لبلاب مسموم، قراص، ظلال ليلية، شوكران سام. هذه الأشياء الغريبة العجيبة قد تكون عملية التطبيق وتبدو متناسقة مع البيئة. لكنك تضيع الوقت سدى إذ تحسب أن بوسعك شرائي ببضع نباتات غضة وحشائش... فروحي ليست بهذا الرخص.»

«هل قلت انه بوسعي شراؤك؟»

«لا. لكن هذا ما يفهم. اقتحم عريني وسأثقب رأسك بمحفار الزهور.»

«أنت تستهينين بي.»

«آه، لا يا جاك. مهما خطر على بالك، ما بوسعي الاستهانة بك أبداً، فبرأيي أنت في الحضيض ولا يمكن ان تغوص أدنى.»

«كونك بارعة وخبيرة بكل هذا، ألا تغويك الفكرة؟»

«ليس عندما تكون في مرمى بصري. لا. على أية حال، أنت نسيت ان لدي حديقة مريحة.»

«ليست حديقتك.»

«حسناً من الناحية العملية انها حديقة والدي، لكنها تحت تصرفي في كل ما أشاء.»

«لكن بكل تأكيد تودين الابتعاد؟»

«جاك، ذكرني كي أبتاع لك كتاب تاريخ، كتاباً يتناول العصور المظلمة. أيام كانت المرأة تتزوج فقط للهرب من بيت الأهل قد ولت إلى غير رجعة.»

«ما كنت أقترح ان تأتي إلي كي تفري من دارك. ما كنت أعنيه بكل بساطة انه حين نعود لبعضنا ستكون الحديقة لك. ستكون لك أكثر مما هي حديقة والدك.»

«انني سعيدة بالعناية بها. لا أستطيع ان افهم لماذا تعتقد عكس ذلك.»

رفع حاجبيه عالياً، كمن يلقي بالشك على صحة عبارتها الأخيرة، لكنه لم يعقب بشيء. بل قال: «رجال النقليات أبلغوا ان الشاحنة تعطلت. والأثاث لم يصل بعد.»

تنهدت وقالت منزعجة: «لماذا لم تتصل بي لتبلغني بذلك. حسناً لا تضيع وقتك بالاجابة، فانها لن تعجبني. والآن ان كنت تعذرني سأعود لبعض الأعمال الجادة...»

لكن جاك قال بحزم: «لا. لست بذاهبة. أنت لا تعتقدين انني أحضرتك كل هذه المسافة لأدعك ترجعين إلى المنزل؟ سنذهب في نزهة بالقارب.»

كشرت روزي وقالت: «أنت تهذي...»

نهرها بصوت أشبه بحد المنشار على الحجارة: «كفى. لقد سئمت احتجاجك. أنت ما زلت منجذبة إلي كما كنت دائماً. ستخرجين لساعتين في قاربي. سنتحدث عن الخيل، والسفن الشراعية، والرسامين، وسنواجه البرد. لن نعود لنبش الماضي. لن أضع اصبعاً عليك، لكن حين تعودين إلى منزلك سيكون لديك ما تفكرين به. حسناً؟»

أشاحت بوجهها عنه، لكنها لم تكلف نفسها عناء معارضته. فليقدها إلى ويموت. ليقلها في قاربه الصغير من جديد. كانت الرحلة ممتعة بالنسبة له آخر مرة. هذه المرة ستكون عقيمة. قفزت داخل القارب الصغير معه قريبة منه، تتنشق عبيره مع الهواء المحمل بالملوحة، متشوقة له. لكن لن يكون هناك اغواء حقيقي. فليس هناك ما تخاف.

كان اليخت الصغير قد تحسن كثيراً عن السابق. فقد أصبح الآن بطاقم.

«كنت تعمل كثيراً في السنوات الماضية.» ورمقته بنظرة اعجاب فيما راحت تعتلي سطح المركب.

أجابها بجدية: «لقد ركزت على العمل بالكامل في هذه السنوات الأخيرة.»

كان ذلك الشيء الوحيد بمعنى الذي قالاه كل تلك الأمسية. تحدثا عن الخيل والسفن الشراعية والرسامين، وشربا الشاي بينما اتكأ على الألواح الخشبية وتفرجا على

اللطمات الرمادية للبحر الهائج. وبعد ذلك نزلا إلى الحافة الجانبية وراحا ينظران إلى جموع القوارب والصواري والأكواخ خلف النافذة. حين عادا إلى السيارة وضع التدفئة على آخرها. كان على حق، لقد أصابها برد شديد. وكانت أشياء كثيرة تدور في خلدها، كحقيقة تمتعها بمرافقته.

قال انهما سيتركان الماضي خلفهما، وهذا ما حصل فعلاً. كانت جوارحها تترنح كلما مالت برأسها ورأته يتطلع إلى الفضاء.

أمضى الأسبوع اللاحق في لندن. عملت بدون راحة طيلة الأسبوع آملة ان تنجز أكبر قدر من العمل بينما هو غائب. رأت مارغريت مرتين أو ثلاث خلال هذه الفترة، لكنها تفادت أية اشارة عن جاك.

وأخيراً فقدت مارغريت صبرها، وقالت: «بحق يا روزي، لن يتبدل مجرى الأمور لامتناعك عن الحديث عنه.»

«ما الذي لن يتبدل؟»

«لا أدري، اخبريني. من الواضح ان هناك شيئاً قوياً يجمعكما، لكنني لم استشعر حقيقة ما هو.»

«ألم تلحظين؟» تمتمت روزي بشك مفاجيء. كانت مارغريت قد أمضت أمسية كاملة في ليتل بورن. ومارغريت بطبيعتها تقدر على كسب ثقة أي شخص خلال نصف ساعة. على كل حال، فجاك كان قد ذهب لعمل ما. ربما كان من الملائم له وجود صديقة لجوجة لروزي. «ألم يقل جاك لك شيئاً؟»

ضحكت مارغريت ضحكة عالية: «نعم. لقد قال شيئاً فعلاً.»

«ماذا قال؟»

«آه... هذا غير ممكن اخباره...»

حركت روزي رأسها علامة الخيبة: «أنت لا تفهميني. انه مخادع كبير انه يتلاعب بك...»

«لا. هو لا يفعل ذلك.»

«كيف لك ان تقولي هذا حين ابلغك أكاذيب كثيرة عني وعنه وعما حصل؟»

«لكنه لم يفعل. قال انتظري دقيقة.» تحركت شفتاها الطافحتان حمرة فيما كانت تعد على أصابعها تسع كلمات. «هذا كل شيء.. بالكاد كوّن قصة حياتك.»

«تسع كلمات. ما هي؟»

«لن أخبرك. وبالتالي أود لو تخبريني كل ما في الأمر. لقد التقيتما في السابق. أليس كذلك؟»

«اخرسي يا مارغريت.»

«حسناً. لكنه لا يقدر ان يرغمك على عمل شيء لا تريدينه، يا روزي. بوسعك ان تلجأي إلى وسائلك، وأنا سأساندك مئة بالمئة إذا احتجت ذلك. أنت تعرفين.»

وأطلقت مارغريت ابتسامة لطيفة على فمها، وقالت: «لو كنت مكانك لما تسببت بألم رأسي هذا. لا سيما انه وضع أمامك الكثير من العمل... لو كنت مكانك لنسيت كل القضايا الشخصية، ولقمت بالعمل وانتظرت كي أصبح غنية ومشهورة بلا حساب.»

بدا ذلك منطقياً جداً. لكن حين عاد جاك في صبيحة يوم أحد ضبابي، كانت روزي تزيل أوراق الشجر من على الأعشاب أسفل شجرة الزان.

أمرها وهو يحدق بها وذراعاه مكتوفتان: «ضعي هذا جانباً، وتعالي معي.»

نظرت إليه من فوق كتفها، محمرة الوجه من الجهد وخصلات الشعر مبعثرة على كتفيها ورقبتها بعد ان انفرطت ضفيرتها.

أجابت بحدة: «اذهب من هنا.» فمفاجأة رؤيته جعلتها تضغط بشدة على لوح الخشب. والآن، غرزت الشوكة في التربة الثقيلة. اهتزت غاضبة فيما كانت تشد طبقة التراب إلى أعلى.

اقترب وتناولها منها ليسحبها من الأرض وألقاها على العشب وقال: «تعالي.»

«قلت لك ان تذهب.» قالت ذلك بكبرياء دافعة كتفيها إلى الخلف مبعدة خصلة الشعر عن وجهها.

ابتسم وقال: «تعالي. سنتنزه قليلاً.» وقبض على ذراعها بقوة.

نفضت نفسها منه بلا مبالاة، لكنه وضع ذراعه على كتفها وبدأ يسير بها. كان لها ان تثبت قدميها بقوة على الأرض، لكن شأن هذا ان يدفعها نحوه، وأخيراً مشت على مضض.

«جاك، أنا لا أريد ان...»

تجاهل ما تقول ونكرها: «كنت آخر مرة مسرورة لمشاهدتي. قلت انك تعرفين اني سأعود واننا...»

«اخرس. أنا لا أعرف كيف تمتلك الجرأة لتذكرني بهذا. كنت قد قلت هذا منذ أربعة أعوام، قلته بكل اخلاص... بخلاف كل ما قلته أنت.»

«ليس كل شيء يا روزي.»

نظرت نحوه باستياء مؤلم. «لا تحاول تضليلي. أنت أتيت إلى هنا متخفياً بنوايا زائفة، وأنت هنا بحجة نوايا زائفة هذه المرة أيضاً. ايما وأنت تعدان لشيء جديد، أليس كذلك؟»

«ليست ايما. أنا فقط. حين علمت انك عدت إلى هنا قررت انها اللحظة لأبتاع بيتاً ريفياً وآتي لأبحث عنك.»

«آه، حقاً؟ بحيث تقدر على سرد قصة حب القرن؟ لن يحصل لك ما تريد، يا جاك. لِمَ لا تذهب بعيداً؟»

كان يقودها باتجاه البحيرة، حيث قال لها بحزم: «لست بذاهب. أما زال القارب يسير بسرعة؟»

انحنت قليلاً لتفلت من وزن ذراعه وحدقت فيه: «أنت لا تخطط لركوب القارب من جديد، هل ستفعل لذلك؟ ما الذي يدور في عقلك تحديداً؟ عرض زواج جديد؟»

«لا هذا ولا ذاك. ولست بحاجة لازعاج نفسي مرة أخرى. فنحن متزوجان يا روزي. وأنا لن أحاول التقرب منك ما لم تكوني متجاوبة، وهذا ما ستفعلينه عاجلاً أم آجلاً.»

«أبداً!»

قال: «أنت تكذبين على نفسك، يا روزي. لم يتبدل شيء، فأنت ما زلت تحبينني، لم يتبدل شيء. ما عدا اننا هذه المرة نعرف النتيجة سوية. فأنت لن تحاربيني إلى الأبد. قريباً ستنسين الماضي تماماً، مثلي أنا.»

«ما أنبلك. إذاً أنت مستعد لتنسى الفارق الشاسع بين معاملتي لك ومعاملتك لي؟» سخريتها اللاذعة جعلتها تبدو مرعبة، لكن ما عاد بمقدورها مواصلة المواجهة. كانت قد

خارت قواها ولم تعد قادرة على نبذه. كلما تواجدت بقربه كلما استمرت المعركة بداخلها.

انقبض وجهه على خطوط ثقيلة. «حسناً. إذا أنا عاملتك بقسوة، لكن سلوكك علا كل الشبهات. أقرّ بأني لم أحسب ان طبعك مرّ لدرجة لا توصف. وهذا ليس أكثر أنواع المعاملة جاذبية. لكنني مستعد لاعادة النظر فيه.»

سددت له لكمة على صدره وراحت تضربه ضربات متتالية بكل قواها. أمسكت أصابعه بكتفيها، وحين ثبت حركتها هدأ روعها. وحين هدأت ألقت بذراعيها مثقلتين إلى جانبيها.

«أنا أكرهك! وأكره نفسي لأني تركتك تفعل ذلك. بوسعك ان تنسى العقد... كل شيء. اذهب بعيداً!»

نظر إليها بتركيز كبير، ثم ضحك: «ألم أقل لك انك ستنهارين في النهاية؟ لم يأخذ الأمر وقتاً طويلاً يا روزي.»

وأخذ يصيح فرحاً: «أين القارب؟»

توقفت طويلاً قبل ان تؤشر عليه: «هناك!» قالت بمرارة، وأشارت إلى كومة من النباتات والأوراق الجافة على طول الحافة. عندها دارت على نفسها وهرعت عائدة للمنزل، تاركة إياه يكتشف القارب الرطب المغطى بالطحالب، ليقلّه وحده. نظرت إلى الخلف من فوق كتفها، كانت الأوراق على أشجار الليمون قد أصبحت صفراء غليظة يلفحها لون السماء المتجهم.

عثر عليها في غرفة الاستديو. عبر الباب ببطء فيما كانت متكئة على لوح الرسم والقلم في يدها.

قال: «سأقلك غداً صباحاً الساعة الثامنة. اجلبي كل

العدة لبلاط المسبح. سنتناول طعام الغداء مع اوبري.»

«لن آتي. أخبرتك، لقد انتهى كل شيء ولا يهمني أي شيء. بوسعك ابلاغ اوبري بما تشاء.»

«من المستحسن ان تحضري حقيبتك لبضعة أيام. ثلاثة، أربعة... لست أكيداً. هذا يعتمد على الوقت الذي يستغرق هذا الأمر. لم استطع ان أقلك بالقارب، لكنني أفكر بأخذك معي قريباً إلى لندن من جديد.»

أبقت عينيها على صفحة الورق البيضاء أمامها، وقالت: «أنت لن تجرني إلى منزلك في ثلاثة أو أربعة أيام. في الحقيقة لن تحقق غرضك في حياتك. انتهى الاتفاق بيننا.»

أطلق ضحكة قصيرة: «لا. لم ينته. لقد رحنا بعيداً...»

أغلقت عينيها وقالت: «هل تقصد عندما رميت برأسي على كتفك أم العمل؟ إذا كان الأمر يتعلق بالأولى، فعلي ان أوافقك، فعلاً رحنا بعيداً، ولن يحصل هذا مرة أخرى. أما بخصوص العمل فقد مضى اسبوعان ليس إلا، بوسعك العثور على شخص آخر.»

«هل ترفضين رفضاً قاطعاً بحيث لا يوجد ما تفعليه بالنسبة للقاعة؟»

«نعم.»

أحنى رأسه مطرقاً وقال: «ربما أؤجل اللقاء بعد كل هذا. لقد دعتني مارغريت لأجتمع ووالدك واياها على وليمة عشاء غداً... أفضل ان التقي به كما ترين...»

«أنت لن تفعل هذا.»

«بل، أنا فاعل ذلك.» أكد لها وابتسامة باهتة بدأت تعلو شفتيه المرسومتين بدقة.

التصميم الحازم الواضح في عينيه الزرقاوين أوفى بالقناعة التي كانت بحاجة لها. عادت ببطء نحو اللوح، واسندت عليه ذراعيها وألقت رأسها بينهما.

تمتمت بشحوب: «الساعة الثامنة. حافظة أوراق واحدة. محفظة سفر واحدة. سأكون بالانتظار وأظن انك ستكون دقيقاً في موعدك.»

دنا ورفع كتلة من الشعر الرطب عن خدها ونظر إلى العتمة الدامسة في عينيها وسألها: «لماذا كسرت القارب؟»

أجابته بسؤال دون روح: «لماذا تظنني فعلت ذلك؟»

ألقى خصلة الشعر مجدداً على وجهها كحشرة سامة، ومضى.

الفصل السادس

وصل جاك عند الساعة الثامنة. كانت روزي تنتظر عند العتبة، مرتدية تنورة، ومعطفاً بلون أخضر وبلوزة بيضاء عالية الياقة، حاملة بتأهب حقيبتي السفر والأوراق الرسمية. صافحها قبل أن يضع متاعها في مؤخرة السيارة. بالكاد تطلع إليها إلى ان أدار محرك سيارته وانطلق بها. عندها أدار وجهه ونظر إليها مطولاً.

قال لها بايجاز: «تبدين مخيفة للغاية.» واندفع بالسيارة على الطريق.

لم تكلف روزي نفسها عناء الرد. لم تكن تفكر بالأيام اللاحقة التي تنتظرها، ولم تلق مبرراً لتعكير مزاجها على الاطلاق.

«انك شاحبة، وعادة لا تكونين كذلك. ما الخطب؟ هل تشعرين بالمرض أو شيء مماثل؟»

«لم أتمكن من النوم جيداً.» أجابت ببرود عبر شفتيها الجافتين. «ايمكنك ان تحزر السبب؟»

كان هو من لزم الصمت هذه المرة. حدقت إلى أمام عبر زجاج السيارة، لكنه لم يكن ليدري بما تفكر وبأي اتجاه.

وارتاحت، حين تحدث في ما بعد، حول خططه بخصوص الفنادق. من الواضح انه كسب اهتمامها ما فيه الكفاية لاطلاق العنان لمثل هذا التساؤل. وسرعان ما وجدت روزي نفسها تسترخي في جو الحوار المحايد. وحين بدأت

www.rommancia.com

السيارة تجوب شوارع لندن، عاودها من جديد مزاجها السابق.

سألت: «إلى أين ستأخذني؟»

«إلى أين تريدين؟»

«لا يهم، أي مكان سيكون متجهماً بوجودك إلى جانبي.»

«هذه الأحاديث مملة جداً. لا بد ان تدركي ان كل احتجاجاتك هي مضيعة للوقت.»

تنفست عميقاً قبل أن تسمح لنفسها بالرد. كان على خطأ، لا بد من ذلك. قالت لا مبالية: «هل هذا ما تفكر به؟ انك تميل لتأخذ طريقك؟ إذا أصريت فأنت كنقطة الماء التي تتساقط على الحجر. هل ستتمكن من غلبتي؟»

«لا. أظن انك عاجلاً أم آجلاً ستدركين انه بوسعنا عمل شيء معاً. فأنت ما زلت تحبينني يا روزي. عليّ ان اعترف انه عندما حزمت حقائبك كانت تساورني بعض الشكوك. لكنك كنت تكذبين حينئذ إذا ما اعتقدت اني لن أكون واياك الآن. فهذا شيء في عداد الماضي. لم أتوقع أن يكون هذا سهلاً، لكن أنت تتذكرين كيف كان الأمر أيضاً. وستعودين إليّ في نهاية المطاف.»

«أنت تقترف خطأ كبيراً. فأنا غرض لا يمكن تحريكه. ومهما حصل، وبقدر ما يعنيني أي شيء، أنت قوة لا تحتمل.»

اطلق ضحكة جافة. «أنا لا أخطط لاستخدام القوة ولا المثابرة المستديمة لأبرهن عن نقطتي. ولكونك لست بذلك الغرض الذي لا يتزحزح كما يروق لك ان تفكري، فقد زحزحتك البارحة، هناك على ضفة البحيرة.»

«زلة خفيفة. ما تسعى له قد يتطلب زلزالاً.»

«إذاً، يتحتم عليّ أن أبني بيتاً عند سفح سان اندرياس وانتظر التطورات هناك.»

«لم تقل لي بعد إلى أين ستأخذني.»

«لا، لم أقل.» توقف برهة ثم أضاف: «لندن.»

همهمت وقالت: «أين سنمكث هناك؟ لا تقل انك ستأخذني إلى ذلك الفندق...»

«أنت على صواب.»

«تعني اننا ذاهبان إلى هناك! إذاً دعني أقول لك...»

«لا. أعني انك على صواب في أنها فكرة خبيثة أن آخذك إلى ذلك الفندق بالذات. لقد ابتاعته مؤسسة عالمية تضمن ذات المواصفات للغرف في أي بلد من البلدان الستة والأربعين التي تمتلك بها فنادق في انحاء العالم. وهو ليس ما اعتدنا عليه.»

«إذاً ماذا؟»

«اصبري وسترين. على أية حال لدينا أشغال نعتني بها أولاً. سنتناول الغداء مع اوبري وهناك خطط ومشاريع كثيرة سنتعرض لها...»

شكراً لاحسانك، يا اوبري. على الأقل ستكون لديها بضع ساعات راحة قبل تجدد العاصفة.

كان اوبري غرينسلايد، رجلاً حسن المظهر في الخمسينات من عمره، وشعره أبيض كث وابتسامته مرحة. احتضن روزي في عناق خفيف بمجرد دخولها الغرفة.

«أكاد دائماً أتساءل كم كبرت يا روزي. ما زلت تبدين

تلك الفتاة اليافعة التي رمتني بالكعك المكسور...»

«اوبري، هل لك ان تذكرني بهذا كلما التقينا؟ وعلى أية حال، فقد أفاد ذلك لتوافق على عمل والدي في أمستردام. فقد وعد بأخذي للصيد. وأنت أضعت عليّ يوماً جميلاً. إن أردت أن تنصرف لتأمين العمل للنحاتين السعداء من العاطلين عن العمل ليصبحوا فنانين عاملين بمزاج متعكر، عليك ان تتهيأ لمواجهة العواقب. حالياً لدي فكرة أفضل من الكعك المكسور، لكن النحل لم يكن مستعداً للتعاون معي ذلك اليوم.»

ابتسم اوبري: «كيف تسير الأمور مع روزي يا جاك؟ هل أحاديثها جعلتك تفقد عقلك؟ من حظنا ان ذهنها متقد، على الأقل حين تفرغ محتويات ما عندها يصبح الأنصات اليها مصدر سرور. تخيّل ماذا يحصل لو كانت لديها مواصفات مساحيق الغسيل؟»

كان جاك صامتاً على غير عادته. كان يحدق ببرود في منتصف المسافة. لم يكن يتطلع كمن يفكر باجابته. في الواقع كان ينظر وكأنه لم يسمع السؤال.

ربتت روزي بسرعة على يد اوبري وانطلقت بالحديث، إذ شعرت بالاحراج أمام رفض جاك للاجابة. لم تشأ أن يشك اوبري بشيء. «لا بد ان ينفعك ان امضي الساعة التالية لأخبرك بما أود عمله بصدد تشكيلة من المنتوجات المنزلية. في الواقع لا بد ان افعل ذلك... بدءا من حرف أ ـ أمونياك، ومواصلة العمل عبر الأحرف الأبجدية إلى حرف ز ـ زبريتا...»

«زبريتا؟» تساءل جاك بصوت جاف.

إذاً، كان يتابع الحديث رفعت روزي حاجبيها مرحاً،

وقالت: «أنا لم أصنعه. انه من مساحيق الغسل والتلميع الجيدة، كالرصاص الأسود. في الواقع انه شيء رائع حين نستعمله في بعض المواقد، سيتسنى لك أن...»

قاطعها اوبري: «روزي! رجاء ان توقفي هذا! أتراجع عما قلت. أنت أرخص محادثة في العالم.»

كشرت روزي. لكن الرجل الكبير كان قد نحا ببصره باتجاه حقيبة أوراقها. كان معجباً جداً بالتصاميم، وأمسك ذراع روزي مرافقاً إياها نحو المطعم. تابعا المزاح الودود بينهما خلال كل فترة الطعام، فيما أعاد جاك الحديث إلى مسائل العمل.

«اوبري.» قال جاك لاحقاً، وهو يدفع صحنه جانباً: «أنا أفكر باقامة مصنع صغير تحت اشراف روزي، بحيث تتمكن من تصنيع كل أنواع البلاط الذي نحتاجه. لديها شخص واحد يعمل واياها حالياً. ستحتاج إلى المزيد من المساعدين المجرّبين. لكن شيء من هذا القبيل لا بد ان يكون استثماراً بعيد المدى. ماذا تعتقد؟»

هز اوبري رأسه موافقاً: «فكرة جيدة. في الواقع فكرة جوهرية، وإذا ما اعطت نتيجة اعتقد ان شركتنا ستحقق عملاً كثيراً لفترة طويلة.»

قطبت روزي جبينها وقالت: «انتظرا لحظة. هذه أول مرة اسمع شيئاً عن هذا...»

قاطع جاك قائلاً: «ليس لديك من خيار، يا روزي، فالمسبح وحده سيتطلب آلافاً من البلاط، إذا قمت بطلائها وحدك فالأمر سيستغرق أشهراً. وليس بوسعنا الانتظار كل هذه المدة...»

«لا. ولكني أعددت خططاً للتعاقدات الفرعية...»

قاطع اوبري قائلاً: «جاك على حق. ليس بوسعك عمل كل هذا وحدك. وحين يصبح المصنع جاهزاً سيكون بوسعك عندئذ القيام بكل الأعمال الكبرى.» ابتسم بحرارة والتفت نحو جاك قائلاً: «لقد ورثت عبقريتها عن والدها، انت تعرف داني، انه رجل عظيم، نحات رائع، وله حس ثاقب بالمرح. الرجل الذي بوسعه اضحاك هرة، أما زال يتغدّى على أذرع الفلاحين، يا روزي؟ ان مكانه هو عالمه يا جاك.»

نظر جاك بصعوبة نحو عيني أوبري. وقال: «في الواقع، أنا لم التق بوالد روزي.» توقف برهة ثم أضاف بصوت لاذع: «ربما حان الأوان لأتعرف إليه.»

مررت روزي لسانها على شفتيها. فآخر ما يمكن ان ترقبه هو ان يجلس جاك ووالدها ليتجاذبا أطراف الحديث.

قالت بحزم: «انه منهك جداً في العمل حالياً. انه يشتغل بقطعة كبيرة، وهو لا يحب ان يضايقه أحد.»

قال جاك بصوت هازىء: «ربما بوسعي الامساك به ساعة الغداء...»

تطلعت روزي إليه بابتسامة باهتة، وقطبت عينيها بشدة. وقالت بكل ما قدرت عليه من عذوبة: «أتعتقد انه سيحبذ ذلك؟»

«اعتقد ذلك.»

قالت بصوت ناعم: «ان والدي يختار اصدقاءه بنفسه، وهو حاد المزاج.»

لحظ اوبري بوضوح وجود أمر ما، فقال بصوت ودود: «هذا لن يقود إلى نتيجة يا جاك. إذا عدنا إلى مكتبي بوسعك

ان ترى اجهزة الكمبيوتر الجديدة، وسأستعرض وروزي أوراقها بعناية فائقة، وأتحدث وإياها قليلاً عن فكرة المصنع.»

أطلقت روزي تنهيدة عميقة. لكن جاك هز رأسه وقال: «ليس هذه الأمسية، يا اوبري، فلدي موعدين آخرين.»

ارتسمت علامة الذهول على وجه اوبري. واضح انه كان يتوقع جلسة عمل طويلة مع جاك. لكن جاك سرعان ما انتصب واقفاً، مصمماً على الذهاب، وبابتسامة عذبة أمسك بسترة روزي كي ترتديها. بقيت روزي في مقعدها ناظرة من فوق كتفها نحو جاك بعلامة تصميم في عينيها.

«أنا... آه... إذا كان كل شيء على ما يرام مع اوبري، فسأكون مهتمة جداً...»

«ألم أذكر المواعيد باكراً، يا روزي؟ ماذا بوسعي ان افعل وحيداً؟ قد احتاجك معي.» وراحت يده تمسك بمرفقها.

تداعت روزي لحظة خلالها ظنت أن بوسعها الرفض، لكن نظرة سريعة نحو اوبري حذرتها من ان ذلك غير مجد. كان يبتسم بحرارة نحو جاك، متلهفاً لارضاء زبون هام مثله.

«بالطبع. بالطبع يا عزيزي. الآن، تذكرت ان جاك كان يتحدث عن شيء ما باكراً... ما أغباني لقد نسيت...»

وبعلامة غضب مستسلم وقفت روزي على قدميها وتلقفت بسرعة معطفها من جاك. ربما قد يقودها من أنفها، لكنها أحست بالحنق إذ كان لها أن تقف بينما يضع لها معطفها. على الأقل بوسعها أن ترتدي معطفها بنفسها.

ما ان وصلت إلى الشارع التفتت نحوه قائلة: «ما الداعي

لكل هذا؟ لم يكن هناك أي موعد آخر. هل هناك مواعيد فعلاً؟»

«لا.»

«إذاً، لماذا تريد حملي بعيداً عن اوبري؟ ألأننا كنا في جو جيد معاً؟ بالتأكيد لم تفكر أنني كنت أفسح المجال له، أليس كذلك؟ عن حق...»

«لا. لم أفكر بهذا.»

«إذاً، لماذا؟»

«انسي الموضوع.»

«أنا لا أفهمك يا جاك. أعرف انك مخادع لكنك تقوم بتصرفات قبيحة أحياناً. كنا على أبواب الشهرة. كان نقاش العمل جار على نحو منطقي، وعندها أردت الذهاب تماماً كالمرة التي أرغمتني على مشاهدتك وأنت تتناول طعام الفطور. والآن انقلبت على الوضع فجأة، بذات الطريقة. ظننت انني في هذه الجولة صرت قادرة على ادراك ما تود عمله، لكنني مثل احد فئران المختبرات تحت التجربة، ولا أمانع في قبول ذلك. هناك... حسناً... شيء عشوائي بطريقة تعاملك معي. لقد نلت مني.»

تابع سيره دون الالتفات اليها.

تابعت كلامها: «لا أدري إلى ماذا تهدف من وراء فكرة المصنع. ألم يكن من الأفضل ان تعلمني بالأمر في السيارة، ونحن في طريقنا إلى هنا، بدلاً من زرّ الفكرة أمامي كما فعلت؟»

«أجل. لكنني كما تعلمين لا آبه كثيراً للأساليب الأفضل.»

«ولحسن الحظ هذه واحدة من الأشياء التي توقعتها منك. ولكنك لم تجب بعد عن سؤالي.»

«لماذا عليّ ان القي بالفكرة هكذا أمام اوبري؟ لأنك ستكونين مكرهة على القبول بالطبع، وإلا لكنت عارضت الفكرة فقط لمجرد انها نبعت مني.»

توقفت لوهلة: «ليس بالضرورة. حسناً. في الواقع كنت سأفعل ذلك.»

«وليس بمقدورك القيام بكل هذا العمل وحدك. أنت تعرفين.»

«لقد تحققت من هذا. في الواقع كنت قد بدأت باعداد خططي الذاتية. لكنت قد جربت...»

«اعلم. لكنني جربت بدلاً منك.»

«لماذا؟ ما الذي يدفعك للتحرش بحياتي هكذا؟»

«حقاً ان ذاكرتك ضعيفة جداً، يا روزي. نحن متزوجان. أنا زوجك. هل هناك شيء طبيعي أكثر من هذا؟»

«آه، اخرس.»

«هل تريدين معرفة المزيد عن شركتك الجديدة يا روزي؟»

«سأضع القرارات أنا بنفسي، شكراً لك.»

«متأخرة جداً. لقد اعددت المبادىء والشروط العامة.»

«ماذا؟ غير معقول! لا بد انك جننت. لا علاقة لي بترتيباتك.»

«ستفعلين.»

«وما الذي يدفعك للاعتقاد بأني سأفعل ذلك؟»

«الاصابات التي سجلتها للحين. فقد اصريت على أشياء كثيرة، لا افطار، لا شعر مسدل، لا عشاء، لا عمل. هل لي ان أتابع؟»

«أنا أكرهك.»

«وستقولين هذا دائماً. لكني لا أصدقك.»

«لم لا؟»

«لسبب وجيه.» وتحديداً في وسط لندن حيث تعج الأرصفة على حافتي الطريق بالمارة، حاول الاقتراب منها.

عظيم. وجدت روزي نفسها تفكر بانشراح. لقد اختار اللحظة غير المناسبة لذلك. ضربت بقوة على ساقه وحين تراجع عنها بفعل الصدمة صرخت: «النجدة! النجدة!»

وسط لندن؟ اللحظة الخاطئة؟ جاك؟ كل هؤلاء الناس ولم يتحرك منهم أحد. واحد على الأقل إلا بالتفاتة عابرة. باستثناء جاك الذي ضحك وتابع سيره من جديد.

كادت روزي تبكي لفشلها. كانت هذه أصعب لحظات حياتها على الاطلاق. اوبري، مارغريت، والدها، سيشعرون بالهول لو تسنى لهم فقط معرفة شيء بسيط مما تواجهه. ما عليها الا ان تخبرهم بالحقيقة. حسناً قد يدمر هذا كبرياءها. لكنها راحت تندفع أكثر وأكثر، وكل لحظة تمضيها قربه تجعلها أكثر وجلاً. كانت تحبه كثيراً وهو على حق بهذا، عاجلاً أم آجلاً ستخور قواها. وتستسلم له، وماذا ستكون قيمة كبريائها عندها؟

ستعطي جاك فرصة أخيرة ليعود عن كل شيء ليبيع ليتل بورن ويغادر حياتها بالكامل. وإذا رفض فستخبر والدها بكل شيء. راحت تهرع وهي تبعد المارة من دربها على الرصيف، وتنظر للخلف لرأسه الداكن يتحرك عالياً فوق كل حشد المارة.

قالت وهي تلهث: «جاك...»

أجابها متعجباً وبصوت جاف: «عزيزتي! ها أنت أخيراً تلقين بنفسك بين ذراعيي. كنت على يقين ان المسألة مسألة وقت...»

«اهدأ. لدي شيء أقوله لك.»

«حسناً انني منصت. انتظري فقط حتى ندخل، فالجو هناك يوحي بالاستقلالية. ألا تظنين؟» اخرج حفنة من المفاتيح من جيبه وسار خطوات واسعة باتجاه المنزل الجيورجي الطراز قبالته. ما اللعبة التي سيقوم بها الآن؟ فهذا ليس فندقاً...

نظرت روزي حولها حائرة. ظنت انهما كانا يسيران بلا وجهة. احتجت قائلة: «هذا شارع هارلي.»

وافقها جاك وهو يفتح الباب: «أنت على حق.»

«ما الذي تفعله هنا؟ هل تشعر بالمرض؟»

ابتسم بسخرية: «ليست كل البيوت في الشارع عيادات طبية. أنت تعرفين هناك منازل جميلة وكنت معجباً بها منذ زمن بعيد. ولذا ابتعت واحداً، حين لا أكون في المدينة لأبيت فيه. أهلاً وسهلاً بك يا سيدة هيلاك في منزلك الريفي.»

اتسعت عينا روزي لدهشتها وأكدت: «لن أدخل. سأحدثك هنا في الشارع. لكن إذا كنت تعتقد...»

قال لها بتثاقل: «استعيدي أنفاسك يا روزي.» وسار بخطوتين واسعتين ودفعها من جديد إلى أعلى.

«توقف!»

«لا تزعجي نفسك بالصراخ، لأنه إذا التفت أحد نحونا سأقول انني طبيب نفسي وهذه صلاحياتي...»

لم تزعج نفسها بالصراخ، تماماً كما قال، ليس هناك من مفر. أصبحا على العتبة وعندها أغلق الباب وألقى بها على السجادة الزرقاء السميكة.

كان جاك يبتسم هازئاً منها وعيناه الزرقاوان ترقصان. «كان ذلك أمراً لطيفاً رمزياً، أليس كذلك؟ جرك نحو العتبة على هذا النحو.»

«لقد قلت لك للتو انك لن تصل إلى اية نتيجة. لذا لست أدري لماذا تواصل هذه البدعة مدعياً اننا متزوجان.»

«لأننا متزوجان حقاً.»

«لكن ليس لأجل طويل.» قالت حانقة وهي تشعر بزهوى الانتصار. «اما ان تبيع ليتل بورن وتغرب عن وجهي أو سأطلقك بأقرب وقت ممكن. سأروي كل القصة في المحكمة، إذا اقتضى الأمر، سيثير طلاقنا جلبة لم ترها من قبل. ولن أبالي البتة.» توقفت لبرهة ثم تابعت: «والآن ما رأيك؟»

ابتسم بالمقابل وراح يقودها صعوداً على سلم شديد الانحناء: «غرفة الرسم موجودة في الطابق العلوي. لم لا تحضرين لي عصيراً ما؟ ألا تبدو لك هذه الفكرة ممتعة بعدما تم الغاء مواعيد ما بعد الظهر؟»

قالت متعجبة بمرارة: «أنت لا تسمع!»

«أنا. أنت تخبريني عن كل هذا الطلاق الصاخب الذي تخططين للقيام به ضدي. وأنا فكرت بكل بساطة انه بمقدوري الاستماع بشكل أفضل وبيدي كوب عصير. وربما تخبريني بما تشائين على نحو أفضل إذا كان هناك كوب في يدك. هيا.» ومضى بضع خطوات اضافية على السلم.

كتفت روزي ذراعيها. لقد صار بوسعها الآن القاء نظرة بالجوار لتتحقق من ان البيت كبير فعلاً.

«اصعد بمفردك إلى أعلى وصب عصيراً لك. شخصياً أفضل البقاء في قاعة مثل هذه. اعتقد انني سأبقى هنا لقول ما أريد، ان كنت لا تمانع لكن لا تبالي. سأبذل كل جهدي كي تسمعني.» وعندها تنفست عميقاً وصاحت بكل ما أوتيت من قوة: «أنوي الطلاق منك، بصخب وجلبة سأضمن ان يعرف والدي مسبقاً كل شيء عنك وعن ايما، وسأقف عندها في المحكمة وأقول كل شيء لمصلحة من قد يهمه الأمر.»

ابتسم ابتسامة عريضة، وصاح مجيباً: «ما الذي يدعك تظنين ان والدك سيرى الأمور على طريقتك؟»

قطبت وجهها متعجبة: «ولِمَ لا؟»

هز جاك رأسه وتابع تحديقه بها.

صاحت غاضبة: «ألا تفهمني. سأقول كل شيء في المحكمة! كل شيء!»

تحركت أطراف فمه قليلاً وابتسم بسخرية: «ولا بد ان أشبع موتاً قبل ان اختار الرد عليك!»

بقيت روزي مشدوهة بالكامل. لكن حنكتها لم تهجرها. فتحت فمها عريضاً وصاحت باتجاه السلم: «حقاً؟ ظننت انه كان ملائماً لك لاجراء صفقة مالية كبيرة فقد يحقق لك هذا الدعاية، أحببت أم لم تحب.»

«هل لي ذلك. أتوقع ان يكون بوسعي مواجهة ذلك.»

فجأة علا صياحها من الغضب: «لِمَ لا تأخذ كلامي على محمل الجد؟»

«لأنني لا أبالي لما تقولين عني، سواء في المحكمة أو

في أي مكان آخر. لم أفعل ما يعيبني. لقد تركتك تذهبين بسبب احساسك، ولأنك كنت بحاجة للمزيد من الوقت لتكبرين. ربما لم يتوجب عليّ الزواج منك... لا أدري... كل ما أدريه انني كنت متيماً بك وأردتك زوجة لي.»

ربما كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقوله ليجعلها تغوص في صمت عميق... حائرة، وهي تصعد درجات السلم عن غير وعي منها.

الفصل السابع

كانت غرفة الرسم كبيرة، ونوافذها تطل إلى حركة المارة والعربات في أحد شوارع لندن. كان الفحم متقدا في موقد آدم. وبعد ثوان من امعانها النظر على طرف الأريكة الفاخرة، لحظت امرأة نحيلة بحدود الخمسين من العمر مرتدية ثوباً رمادياً انيقاً تقترب وهي حاملة الشاي البارد.

قال بصوت هادىء ورصين: «روزي، بودي ان تلتقي بربة بيتي السيدة ريفز. سيدة ريفز، اقدم لك زوجتي.»

القت روزي ابتسامة حرجة قابلتها السيدة بلياقة وتهذيب، فيما وضعت الصينية بجانب جاك. وذهبت دون ان تلقي اية كلمة.

«اتودين بعضاً من الشاي يا روزي؟»

هزت رأسها: «بالطبع لا.»

تطلع اليها متأملاً: «الا تريدين مشاركتي نخب الاحتفال؟ هيا. لا بد ان تشعري انني احرز تقدماً حسناً.»

«تعالي، تعالي، يا روزي. لا تكوني متكدرة المزاج. لقد اغويتك بالمجيء إلى لندن، وانت الآن وقعت بالفخ بغرفة الرسم. اعتقد انني افعل الاشياء على نحو رائع.»

لماذا قال انه احبها؟ لماذا؟ ألم شديد راح يتفاعل داخلها. كانت غبية. كان له فقط ان يذكر تلك الكلمة الخاصة من اربعة احرف حتى تندفع خلفه مذعنة بحكم السليقة. انها

سانجة كعادتها، فيما بوسعه ان يكذب بعينيه فقط. لا بد ان الكذب من شيمته الطبيعية الثانية.

«اوقعتني بالفخ؟ حين تبدأ بمعاملتي ككائن حي عندها سأعتبر ان تقدماً ما قد حصل.»

رفع حاجبه ثم راح يصب بعض الشاي في الفنجان.

«هل انت متأكدة من انك لن تنضمي إليّ؟ الشاي صنع لذوي البشر، على كل حال. او انك ستشعرين براحة اكبر وانت تقضمين قطعة جبن؟»

«انك ترتكب خطأ شنيعاً، يا جاك. انا لست بفأرة. لا بد أن اتأكد من ان كل مسألة تفصيلية في سلوكك يجب ان تنكشف في هذا الطلاق.»

رفع كتفيه علامة اللامبالاة وقال: «لقد اخبرتك، ان الأمر لا يهمني. ولماذا اقلق؟ انا اعتبر ان لديك اسباباً اكثر مني تدعوك للخوف.»

«لماذا اشعر بالخوف؟ انا على ثقة بأن اغلبية الناس ستعتبر ان ما فعلته كان طبيعياً في تلك الظروف.»

«هل تشعرين حقاً بالعار، يا روزي؟ فوراء هذه السحنة الجميلة يختبىء قلب من صلد، اليس كذلك؟ انا لا اشك بأنه ما زال ينبض. ربما تنجم عنه موجات اهتزازية.»

نمّ صوتها عن امتعاض كامل، وهزت رأسها بسخرية: «ألست براغب بعد بالهزة الأرضية؟»

«لا مجرد تمني، انت تحتجين على حيرتك، لكني لا اصدق. اشك بانك ستبقين على هذه الحال طويلاً.»

نظرت بغيظ نحوه عبر الغرفة. كان مستلقياً على ذلك الكرسي، ومعطف بذلته الرمادية مفكك الأزرار، وساقاه

الطويلتان ممدودتين أمامه. لم تلق احداً قط يعترض سبيل حياتها مثله.

«سأجعلك تتكلم مع اوبري، انت تعرف. سأشرح له كل شيء، بالتأكيد سيتفهم الوضع وسيتعامل مع الظرف.»

عند هذا الحد، توقف جاك عن النظر اليها بتثاقل. استوى في مقعده ووضع فنجانه جانباً. سدد صوبها نظرة باردة من عينيه الزرقاوين وقال لا مبالياً: «اذاً، إلى هذا المدى هو ولاؤك لاصدقائك؟ تحتّم عليّ معرفة هذا.»

وقف ببطء وخطا باتجاه النافذة، ويداه في جيبي سرواله. نظر إلى الشارع، قبل ان يتمتم ببرودة: «لست ادري لماذا اضيع وقتي سدى معك. انك لا تستأهلين كل هذا.»

ادركت روزي انها يجب أن تشعر بالسرور كون مشاعره بدأت تخف نحوها. لكنها احست بالاخفاق. لقد ارادت حقيقة ان يقبل تحديها بالكشف عن الماضي. كانت لديها رغبة ضمنية لكي يقر بسوء معاملته لها.

قالت مدافعة: «بالطبع، أنا لا اريد توريط اوبري بهذا. لكنك لا تعطيني أي أمل. أنا لا أريد الضرر لاوبري. ولا أريد ان يعرف والدي بالحقيقة. لكن إذا كان عليّ ان اختار وأنا عرضة لضغوطك، فهذا هو الخيار المهيأة لاتخاذه. وبالنسبة لشعوري بالعار حيال ما يتعلق بي... حسناً، بوسعك ان تعلم مني انني لا أشعر بالعار على الاطلاق. في الحقيقة، لا اشعر ان هناك ما اندم عليه سوى اني سمحت لنفسي بالانخداع بتغريرك.»

قال ببرودة: «كبرياؤك الثمين.»

اعترفت بمرارة: «أجل كبريائي ثمين بالنسبة لي. والآن ان لم يكن لديك مانع، فأنا ذاهبة في طريقي.»

قال وهو يحدق بها وبعينين تقدحان شرراً: «انت باقية، يا روزي. ستبقين هنا في لندن إلى ان اقلب بيدي مفتاح عواطفك.»

اصرت وهي تندفع نحو الباب: «أنا ذاهبة.»

لكنه خطا إلى الأمام واوقفها بمجرد لمسها. بغضب، تجاوبت بشرتها مع لمسة يده الرقيقة لكتفها.

«اليس جميل بقاؤنا معاً، يا روزي؟ سأبدل الاشياء مرة واحدة وإلى الأبد. وفي الحال، سيحصل امر من اثنين: اما ان نعود رجلاً وامرأة معاً، او اكون قد قررت، بعد كل هذا، انني لم اعد اريدك.»

«اتعني ان بوسعي كسب المعركة، بعد كل هذا؟ انا لم افكر ان هذه الفرصة متاحة لي.»

«إذا تركتك فانت لن تكوني قد كسبت، يا روزي. ستكونين قد خسرت كل شيء ذو قيمة، وحياتك ستتقلص وتضمر. ستشعرين بالأسى والمرارة بقية حياتك. ستندبين حظك حتى اخر أيامك. اذ لا توجد وصفة للسعادة.»

ردت بلهفة: «آه، لا... كنت على خير مايرام قبل عودتك. سأعود إلى ذلك الوضع مجدداً.»

«قبل أن اعود لم تكوني تعرفين مقدار مشاعرك نحوي، يا روزي. الآن، وانت توصدين الباب، هل تعتقدين انك ستلتقين برجل مستعد لعمل هذا من اجلك؟» ومرر اصابعه في ثنايا شعرها متودداً. تراجعت خطوة إلى الوراء. وقالت بصوت واجف: «ليس هذا كل شيء.»

قال موافقاً: «لا. ابداً. ولكن، هل بمقدورك ان تلتقي رجلاً آخراً، وتبادليه الحب كما فعلت معي؟ هل بوسعك؟»

«بوسعي.» اصرت، راجية ان لا يخدعها صوتها ويعكس حيرتها. «على كل حال هناك اشياء اخرى.»

«مثل العمل؟ لديك عمل يحسدك عليه الكثيرون. فهو يوفر لك مكافآت جيدة. مثلي. اتعتقدين ان هذا يكفيك؟ انت بحاجة لاكثر من هذا، يا روزي... ليس بوسعك تبديل ذلك.»

عضت على شفتيها بقوة وقالت: «هناك احترام الذات. لست ادري ما يخبئه المستقبل لي. ما بوسع احد التنبؤ بذلك. لكن بوسعي ان ادرس خياراتي ورأسي مرفوع. هذا بكل تأكيد اكثر ما يمكن ان يطمح له انسان ما.»

«ستبقين معي في لندن، يا روزي. ستفكرين تحديداً بما يخبئه لك المستقبل. اذا ما ذهبت فانني سأبحث عنك لأجلبك مجدداً. حين تركتك آخر مرة ظننت ان ذلك سيكون لفترة قصيرة. ظننت انك ستتحققين من ان ما فقدتيه لا يساوي الثمن الذي تدفعينه. وانك ستعيشين قليلاً وتتعلمين لتعودي في ما بعد. لكن، ها قد مضت اربع سنوات ولم تغيري رأيك.

لست فتاة مراهقة، أنت امرأة الآن. لقد كبرت كفاية لتخسري الحق بان تسمحي لنفسك بان تتابعي على طريقتك الخاصة. لقد آن الآوان لافتح عينيك على هذه الحقيقة... لتري ان كبرياءك الطفولي لم تعد له فائدة. نحن متزوجان، يا روزي، علينا ان نبني مستقبلنا سوية. هذا ما تريدينه، سواء كنت مستعدة لمواجهته ام لا. لك ان تستمري في محاربتي، لك ان تستمري في تكدير راحتك، لكني سألجأ

إلى كل حيلة لاجتذبك... وانا واثق اننا سنحل هذه المشكلة في النهاية.»

«اتعني انني سأستسلم؟»

نظر اليها من اعلى إلى اسفل، وتنهد قائلاً: «ربما. او تقنعينني بأني لا اريدك بعد الآن. عليّ ان اقر حينئذ بأن حبل الكذب والخداع قد انتهى.»

ترددت. كانت مذهولة امام لا مبالاته. اكان هذا، يا ترى، جزء من اللعبة المصممة لارباكها اكثر؟ ام هل يعني ذلك فعلاً؟ هناك سبيل وحيد للتحقق من ذلك.

تراجعت لتفلت من ضغط يده عليها، والقت بنفسها على حافة الأريكة. «حسناً. سأبقى... سأبقى إلى ان تكرهني انت بقدر ما اكرهك انا. عندها بوسعك ان تتركني وحيدة، واعود عندها إلى طبيعة حياتي من جديد. انني جاهزة للشروع في المرحلة الأولى. لديّ اشياء كثيرة لاقولها لك، انا اكيدة انها لن تحببك بي. لكن قبل ان ابدأ بتعدادها ساكون شاكرةً لك إن سكبت لي فنجاناً من الشاي فانا ظمآنة...»

سأل بازدراء: «هل ستبدأين؟ ام انك ستنتظرين قدوم الشاي؟»

«سابدأ الآن، إذا كنت تشاء. موضوع واحد: ما بمقدوري ان افهم كيف لك ان تكون مهتماً بعد باقامة علاقة ما معي في حين مازلت تلتقي بايما. لا يمكنك ان تتصور كم اكرهك. هل يصعب عليك فهم هذا؟»

اطلق ضحكة فظة: «ليس من الصعب فهم هذا. وللصدفة، بدأت بداية رائعة. وانا لجدها مسألة رائعة لتذكريني بهذه

الحقيقة البسيطة. على هذه الوتيرة، سأكون قد انهيت كل شيء حتى قبل وصول الشاي.»

حدقت روزي به حائرة: «أينفع اظهار هذا الأمر لكي تكرهني اكثر؟ يجب أن يجعلك تشعر بالخجل. هل تتوقع بجدية مني ان اتجاهل ايما؟ هل اخرق قوانين اللعبة اذا اتيت على ذكر اسمها؟»

تنهد وهو ينظر بفتور نحوها. «افضل التركيز على ما يدور بيننا، انت وانا، دون ان تحشري اسمها في الموضوع.»

«إذاً، ما الذي بيننا يا جاك عدا الازدراء المتبادل؟»

«انجذاب متبادل.»

«بالتأكيد لا يمكن ان تكون صعباً إلى هذا الحد بالنسبة للعاطفة لتدع ذلك يتغلب عليك.»

«لقد تواجد حب بيننا ذات يوم، يا روزي. ليس انجذاباً فقط.»

«انت لم تحبني قط.»

«أنا لم احبك قط؟»

«لقد نغصت حياتي. اتذكر، لقد سمعت ما تبادلتما من حديث انت وايما. انا اعرف تماماً مدى انزعاجي. إذا كنت تسمي هذا حباً، لديك إذاً فكرة تافهة حول ما تعنيه هذه الكلمة.»

قال بلطف: «اتظنين؟»

«أياً كان، أي شعور احسست به نحوك تبدّل لحظة رأيتكما معاً.»

«قلت انك لم تحبيني على الأطلاق. وانك فقط كنت فضولية لمعرفة معنى الزواج.»

«انا... انا كنت في وضع...» واشاحت بوجهها، فيما راحت تتذكر كلمات التقريع التي أنسكبت بين شفتيها. قالت محتدة: «هذا صحيح تماماً. الفضول، هذا كل ما كان في الأمر.»

نظر بعمق نحو عينيها. «آه، لا تكذبي عليّ الآن، يا روزي. بالنسبة لانسان فضولي جداً ومتلهف، وانت اعتدت على حياة هادئة. كنت متعلقة بي إلى ان رأيتني مع ايما. لقد بحت هذه المرة بما لم تقوليه ابداً.»

شهقت وقالت بصوت مخنوق: «حسناً. لكنني لم اعد احبك. هذا صحيح. ولن يطرأ اي تغيير على ذلك.» كان ذقنها يرتجف بوضوح. ترقرقت الدموع في عينيها فاغمضتهما بقوة.

«كيف يمكنك قلب الأمور هكذا؟»

«لا تواصل محاولات التودد، يا جاك. لقد سمعت كل ما قلته ذلك اليوم. انت تعرف... عن... عن...» لكن شفتيها كانتا ترتجفان وصوتها كان مخنوقاً من شدة انفعالها.

قال بصوت بارد: «عن أنني كنت سعيداً معك.»

«لا... لا عن ما كنت تخطط له انت وايما بالنسبة لي لكي...» لم يكن ذلك جيداً. كان من المستبعد، المستبعد جداً الحديث عنه... مررت ابهامها بحركة مضطربة جيئة وذهاباً على طول خط حاجبها، محاولة التخفيف من هول الدوار الذي اصاب رأسها. لكن كل هذا لم يجد نفعاً.

«انا...» ابتلعت روزي ريقها بقوة. «جاك، انا لا افهم لماذا تكذب عليّ؟ محاولاً ان تريني بأن كل شيء على مايرام؟ اننا كنا نتبادل الحب، لقد ظننت انك كنت ترغب

حصر كل شيء... على الأقل، بوسعي فهم ذلك. لكني الآن تائهة، ظننت انني هذه المرة قادمة على الامساك بزمام الأمور، لكنني جد مرتبكة وحائرة...»

راح صوتها يرتجف اكثر واكثر. وعندها وضعت اطراف اصابعها على اهدابها، واخذت تمسح منفعلة الدموع التي لم تسقط على خديها.

وصل جاك إلى جانبها قبل وصول صينية الشاي الفضية. مسحت روزي دموعها برسغها لترمق المرأة بابتسامة شكر خفيفة قبل ان تغطي وجهها بيديها وتبتلع غصتها. انسحبت السيدة ريفز بلباقة من الغرفة، فيما استند جاك على ذراع الأريكة.

ذرفت الدموع لفترة طويلة فيما انسابت يديه على كتفيها، ترفع شعرها بعيداً عن رقبتها لتمر بنعومة على مؤخرة رقبتها.

خفت دموعها شيئاً فشيئاً، وتبخرت الافكار المعذبة من رأسها، تاركة عقلها خاوياً من اية فكرة.

قال بلطف: «لا تفعلي هذا، يا روزي. لا تقدمي نفسك هكذا.»

اغمضت عينيها حائرة: «هل خارت قواي؟ الآن، لا افهم حقاً.»

اتكأ إلى جانبها على الأريكة، ونظر بعمق نحو عينيها الداكنتين. مازالت اهدابها مبللة وملتصقة ببعضها من ذرف الدموع.

«ألم تلحظ ان العودة إلى الماضي تزعجني؟ إذا اردت ان تصلح طبعك، وذلك بالتخلي عن رؤية ايما، اشك ان يكون

بمقدوري احتمال فراقك لساعة واحدة. لكن كلما اتذكر تلك المرة... حسناً.»

اغمض عينيه، ومن ثم نظر إلى النار. بدت على قسمات وجهه علامات تنم عن المرارة والاستسلام. «ليس بوسعك حقاً ان تسامحيني، أليس بمقدورك؟»

أجابت بحدة: «أنت تريد القمر والنجوم، يا جاك. انت تتوقع مني ان اسامحك دون أن يتبدل شيء، انت لم تتوسل ذلك، انت لم تطلب حتى صفحي عنك.»

قال بصوت هادىء: «لا، ولن افعل ذلك. اريدك ان تساميحني فقط لكوني... حسناً، فأر، حسب تعبيرك، اليس كذلك؟ لقد الحقت بك الأذى، اعرف ذلك، وتمنيت لو لم تسر الأمور على ذلك النحو.»

توقف ومن ثم اضاف بتصميم: «لكني لا اندم على ما فعلت. كنت احاول حماية مشاعر ايما ولم ادرك ان شعورك بالمرارة عميق إلى هذا الحد... وان تكتشفي انها شقيقتي سيؤدي إلى تدميرنا بالكامل.»

شقيقته؟ اكانت تلك هي الكلمة التي استعملها؟ لا شك انها زلة لسان. ايما شقيقتها هي وليست شقيقته، او ربما تكون قد سمعت خطأ.

جلست، محاولة تصور ما قاله وما عناه، فيما انتصب هو واقفاً على قدميه، وصب لها فنجاناً من الشاي، ناولها اياه وعاد إلى مقعده. بدا وكأنه ينتظر رداً على كلماته، لكنها كانت شاردة لا تدري ماذا تقول.

همست اخيراً وهي تحك جبينها: «ظننت انك لا تبالي بما يلحقني من اذى.»

أجابها سريعاً: «بالطبع ابالي. لكن انا... حسناً، ايما هي شقيقتي ايضاً، يا روزي. من الطبيعي أن تقبلي بها وعليّ أن أحميها... ارى ان الصدمة اطاحت بك في نفس الوقت، لكن مضت اربعة اعوام لتدري ما هي الحقيقة.»

حبست روزي انفاسها. شقيقته؟ حين ارادت ان تبتلع ردة فعلها تجاه هذا الأمر، صدر من حنجرتها صوت تكسر.

«شقيقة..؟» قالتها بصوت جاف، وفغرت فاها.

لم يبد انه استطاع استيعاب حجم صدمتها. كان منحنياً إلى الامام، ومرفقيه على ركبتيه، واصابعه مشبوكة.

«حين التقى والدي امك من جديد، كنت قد صرت رجلاً، اعيش حياتي الخاصة، وكان الفارق بسيطاً بالنسبة لي، اذ صار عندي زوجة أب بعد وفاة والدتي. وللحقيقة ما بوسعي القول ان ذلك الأمر ازعجني... إلى ان ذهبت لإيطاليا والتقيت بشقيقتي الجديدة. كانت ايما في السابعة عشرة، خرقاء وخجولة، لا تدري ما تريد. رعيتها بجواري، كما هو مفترض. كانت والدتك ووالدي غارقين ببعضهما البعض، وبكل حال، كانت والدتك تشعر بعقدة الذنب لكونها تركتك، فيما كانت ايما تسبب لها متاعب جديدة، كانت ايما بحاجة لمن يسمعها وانا قمت باداء هذا الدور.»

حاولت روزي ان تغلق فمها الفاغر، لكنه بقي بلا حراك، كان فمها جاف. تطلعت مشوشة لفنجان الشاي، لكن لم تكن هناك قوة في يديها لرفعه. اخته غير الشقيقة. لهذا كان يهتم بها. اي ابن يمكن ان تنجبه من جاك لا بد الا ان يكون ابن أخ أو ابن اخت لايما وستكون الخالة والعمة. اجل، بوسعها أن ترى ان مثل هذا الأمر يمكن النظر إليه كانجاز بكل بساطة.

ولهذا عاشت في نيويورك، وعاش هو في بريطانيا واستمر وجود ترابط بينهما... أخ غير شقيق وأخت. آه، لا... لم يكونا حبيبين اصبح تنفسها عميقاً وسريعاً واصيب رأسها بالدوار...

قال بتثاقل: «كان ذلك امراً يزيد على الاضطراب. فالعائلة التي احبت طيلة حياتها انهارت من حولها. كانت تريد السعادة لأمها بأي ثمن إلى جانب والدي... كان واضحاً انهما يحبان بعضهما، لكن بلا شك كانت هناك مشاحنات بينهما خلال السنة الأولى. حاولت مساعدة ايما على التكيف مع الوضع. ادركت الدور المسند الي من اجل حمايتها. بالطبع، ما كان علي ان اوافق على لعب هذا الدور بقدر ما كان يعنيني، لكن بذات الوقت كانت حاجتها لي واضحة. لقد كنت فقط صورة وهمية سمعت عنك، ولكن لم اقابلك قط. كانت ايما تريد مني ان ابحث عنك واصلح ذات البين. واقنعتني انه من الافضل لو اتعرف عليك وحدي في البداية، دون الكشف عن العلاقة بيننا. اعتقد انني كنت مهتماً بالشكل الذي يمكن ان يساعد ايما دون ان آخذ وقتاً لأفكر كيف يؤثر كل هذا عليك. اعترف بأني لم اكن على يقين تماماً حين توجهت إلى المنزل. وعندها فجأة برزت امامي، محمرة الوجنتين، وعيناك تشعان نضارة، والوحل على سروالك. وقفت مشدوها بك. مشدوها إلى حد اخبارك باسمي مباشرة. توقعت ان تعرفي كفاية عن زوج والدتك الجديد كي يعني الاسم لك شيئاً... توقعت ان ينهار كل شيء لكن لم يحصل هذا لخيبتي. اسمي لم يعن شيئاً بالنسبة لك على الاطلاق. وبعد سويعات ادركت انني اريد ان تستمر

الأمور على هذا النحو. بدأت اغرم بك، ولم ارد ان يحصل شيئاً بيننا.»

همست روزي: «لكن، لو اخبرتني...»

«لم اقدر. الا ترين؟ فكرت انني لو اخبرتك سريعاً، ان لم اعط متسعاً من الوقت لتنضج الأمور في ما بيننا... ستغضبين وتتوقفين عن مشاهدتي. لم ارغب بالمجازفة. كنت قد وقعت في حبال حبك ولم اقدر على المقاومة. الا ترين، يا روزي، انه حين نتزوج ستفهمين. انك سترين الأمور من وجهة نظرها، وان لم تفعلي ذلك، فلا يهم.»

هز كتفه علامة العجز... كانت عيناه مضطربتين. تمنت لو تتقدم اليه لتضع يدها على خده، لكنها كانت خائفة من القيام باية حركة. خائفة من ان يتوقف عن الكلام. وتنقلب كلماته اكاذيب باهتة من جديد. طالما اطلق الاكاذيب، الم يفعل ذلك؟ كانت تدرب نفسها على تذكر ذلك. لكن هذه المرة لم يكن من كذب هناك. لم تكن كذبة ابداً وهو يحبها وما زال يريدها وكل ما يقوله... كل كلمة... هي الحقيقة بعينها... الحقيقة الخالصة.

«شعرت انني لا اقدر على خداعها. وعليه فلا طاقة لي بطلب عفوك، يا روزي. لكن كم اتمنى ان اعيد كل ما جرى. كنت مولعاً بك. كان واضحاً اني مازلت اريدك. لكن عليك ان تكوني انت من تتوسلين. اذ بوسعك ان تكوني على يقين من اني لن افعل ذلك.»

كان الطنين في اذنيها هذه المرة اعلى من ذي قبل. كان حس الافكار اقوى. هذه المرة لم يكن هناك اي صحن زجاجي بمتناول يدها، لم تكن هناك عاصفة صيفية لتضيع

فيها، وتغطي على المها. لأنه لم يكن هناك ألم تخفيه هذه المرة. فقط سعادة، التخفيف من ألم طالما اثقل داخلها منذ ان ادركت وجوده. هذه المرة أحست بدوار حقيقي، وارتجفت أوصالها ثم وقعت ارضاً فانسال الشاي فوق السجادة.

الفصل الثامن

«كانت تبدو شاحبة طوال اليوم. لقد عاشت توتراً شديداً مؤخراً، ولذا فكرت للوهلة الأولى ان يكون هذا هو السبب.»

«انها شابة وقوية. من المرجح ان يكون فيروس. على اية حال، هي بحاجة ليومي راحة. اذا ما استمر شحوبها، عندها نجري لها بعض التحاليل.»

فتحت روزي عينيها تلك اللحظة لترى خيال شخص يغادر الغرفة، عندها اصطدم بصرها بوجه جاك قريباً منها.

غمغمت قائلة: «جاك.»

«انك شاحبة، لا شيء يبعث على الخوف. لقد وضعتك في السرير وسألت جاري الطبيب ان يلقي نظرة عليك، فقال انه فيروس.»

«لا، انه ليس...» فوضع اصبعه على شفتيها ليمنعها من الكلام.

قال بصوت ودود: «عليك بالراحة.»

تمتمت: «حسناً.»

قال وهو يربت عليها: «لست على ما يرام. سأخرج وادعك تنامين بعض الوقت. اذا احتجت لشيء، اضغطي هذا الزر.» واشار الى جهاز اتصال داخلي الى جانب السرير.

ابتسمت وقالت: «أنا أحبك.»

لكنه ربت عليها مجدداً وغادر.

www.elromancia.com

عند مغادرته وجدت انها ما زالت ترتجف من السعادة. تسللت من السرير الضخم وعبرت الغرفة لتلقي نظرة على نفسها في المرآة الكبيرة المحاطة بخشب الماهوغاني الثمين.

ظلت واقفة بملابسها البيضاء الرقيقة، تتمايل يمنة ويسرة، تتطلع لذاتها معجبة.

«اخته غير الشقيقة.» قالت بصوت صفير حاد، وهي تمسح منفعلة على ذراعيها وترتجف من السرور. ازاحت بنفخة خصلة من الشعر متدلية على وجهها. وعندها احست بالوهن الممزوج بالبهجة، فهرعت الى السرير والتصقت بالاغطية طالبة الدفء والحماية.

فتحت عينيها من جديد صبيحة اليوم التالي، مدت يدها وضغطت بشدة على الجرس. دخل جاك الغرفة وازاح الستائر عن النافذة، كان يرتدي بذلة داكنة اللون وقميصاً أزرق ناضر اللون بخطوط بيضاء.

سألته وهي تصحو من سباتها: «من اين اتيت بهذه الملابس؟»

نظر إليها باستغراب، دنا منها ووضع يده على جبينها. ابتسمت له، وقالت: «أنا لا اهذي. أنا لا افهم كيف بوسعك تبديل ملابسك دون ان تزعجني.»

حدق في عينيها، وقال متمتماً: «أنا احفظ ملابسي في مكتبي. لقد امضيت الليلة هناك.»

سحب يده عن جبينها، وسألها بشك: «كيف تشعرين؟»

«بأفضل مما احسست خلال سنوات.» استقامت روزي في السرير، كان شعرها منسدلاً على كتفيها. نظرت الى

عينيه وبدت عليها علامات السعادة وهي تنظر اليه.

تنحنح وقال: «هل تظنين نفسك قادرة على تناول وجبة فطور خفيفة؟»

«اتراهن، انني جائعة. جاك... لدي ما اقوله لك...»

«سأطلب من السيدة ريفز أن تحضر شيئاً. لدي مواعيد هذا الصباح، لكنني سأحضر الطبيب.»

«جاك! انصت! ما الذي قلته البارحة قبل ان افقد الوعي؟ جاك، أنا لم اكن اعرف. الا تفهم؟»

نظر اليها بامعان وهو يهز رأسه.

«آه، جاك! انا لم اتصور انك شقيق ايما. لقد فكرت، انكما تحبان بعضكما. لقد افترضت انني عندما اقول هذا سأكشف عن علاقتكما. لا بد انك فكرت بمجرد علاقة القربى، لكن ما عنيته حقاً هو... وأنت، بالطبع، لم تحاول نفيه او شرحه، لأنك لم تفكر بوجود حاجة لذلك... آه، انت ترى، اليس كذلك؟ لا افكر لماذا لم يخطر على بالي ابداً وجود كل هذه السلسلة من علاقات القربى عن طريق الزواج الجديد لأمي، وانها تحب اناسا لم اسمع بهم قط. ايا كان الحال، فاني عندما استمعت الى الحوار في الردهة، فكرت كم هو طبيعي...»

«توقفي، بوسعي تخيل ما خطر على بالك هو طبيعي.» كانت عينا جاك قد اتسعتا من دهشته. تقدم منها ببطء، ونظر إليها مندهشاً.

«اعرف ان هذا من السخافة بمحال بالنسبة لك. اعني، اذا فكرت ان ما اكتشفته ذلك المساء هو انكما اخ واخت، لتوجب علي التفكير في ان دواعي جنوني تنم عن ضيق افق. لكن، بالطبع، أنا فكرت بانك لم تحبني على الاطلاق، بل كنت

تستغلني. لقد شعرت بأنني مخدوعة جداً. الا تفهم ما اعني؟»

توقفت لحظة لتلتقط انفاسها وسط هذا العجاج من المشاعر التي تقاطعت في عينيه كالغيوم المتلبدة في الفضاء الأزرق.

قالت اخيراً بلطف: «لقد احببتك كثيراً، يا جاك. والآن، حين بت اعرف الحقيقة، انا... اود ان تبقى.»

قال بصوت ناعم ومنخفض: «إذاً... أنت تحبينني؟»

«اجل...»

ما كان لها تحمل الخيبة. لقد اخبرها في الأسابيع الماضية، مرات ومرات، انه يحبها. فكرت ان عليها ايضاح خطأها، وعلى الفور سيصبحان سعيدين كما كانا من قبل. عندها تذكرت هول الصدمة التي احست بها الى حد الاغماء.

كان رقيقاً ولطيفاً، مرحاً وودوداً. قريباً، ستعاود الالتقاء بهذا الرجل من جديد.

كم كانت اذيتها له عندما كان يحاول اعادة شقيقتها. كان مخلصاً للبائسة ايما. جعلتها هذه الأفكار تذرف دموع التأثر. لم يكن يعلم ان ايما جلبت كل هذه التعاسة لنفسها حين اقنعت امها بالرحيل... مسحت دموعها وهي تستمع إلى نبضات قلبه.

«آه، جاك لا بد انك فكرت باني مجنونة. لكن، بصدق، لم يخطر على بالي وجود تعليل آخر. حين رأيتكما سوية بت على يقين انك وايما تحبان بعضكما، وان زفافنا لم يكن سوى بدعة. ابوسعك تصديق ذلك؟»

جلس جاك على طرف السرير بوضع مريح، وأجاب مفكراً وهو يبتلع ريقه: «أجل...» وانزل عندها ساقيه عن السرير، ووقف منتصباً ينظر اليها. مد يده نحوها ومرر اصبعه نزولاً من على وجنتها الى فكها. وقال بصوت جاف: «حسناً. اخيراً، نلت ما كنت أريده.»

تطلعت روزي نحو عينيه: «ما الخطب، يا جاك؟ الا تصدقني؟» دبّ الرعب في قلبها لكنها تمالكت انفاسها بينما انتظرت اجابته.

قال بنبرة لطيفة: «آه، أنا اصدقك. كنت افكر بك باعتبار... حسنا، لنقل انني مسرور لأن هذه الهزة الأرضية مرت بسلام. أنا أحبك كثيراً، يا روزي.»

قالت بخوف: «نعم.»

«سيدة هيلاك.» قال بابتسامة هازئة، ومضى ليمسك بيدها. سأطلب من السيدة ريفز ان تجلب لك فطوراً خفيفاً. اتخوف ان لا اتمكن من إلغاء هذه المواعيد، لكنني سأعود عصراً. عندها سيكون بوسعنا عمل كل ما تريدين.»

أجابته روزي: «اعرف ما اريده.»

ابتسم ابتسامة خفيفة، وغادر.

عندما عاد كانت الساعة قد شارفت الرابعة. كانت سماء الخريف ثقيلة ورمادية. ورذاذ ناعم يهطل في اجواء لندن المعفرة. كانت قد وجدت حقيبتها في احدى حجر النوم الكبيرة. كانت حجرة جميلة مزينة بالاقمشة البيضاء المزركشة، والاغطية الصينية الزرقاء اللون. انها اكثر انوثة بالمنحوتات باللونين النيللي والاصفر الداكن، والسجادة العجمية الكثيفة، مقارنة مع غرفته. لكنها كانت

غرفة مخصصة للضيوف وليست غرفته. شعرت بحسرة تستولي عليها.

ابتسم حين ولج الغرفة، وأمسك يديها. كانت هناك رصانة في تصرفاته. لاحظت، حين ادارت وجهها بعيداً عنه، انه لم ينتبه للحب في عينيها. كانت تردد لنفسها لسبع ساعات ان الأمور ستكون قد تغيرت حين عودته. لكنها شعرت الآن بغموض كبير.

سألها: «هل فكرت بما تودين عمله؟ مطاعم، مسارح.»

تنهدت قائلة: «لقد فكرت بما اريد، لكني لسبب ما اعتقد انني لن اسلك الدرب الذي اشاء.»

ضاقت عيناه وسألها: «ما الذي يدور في خلدك؟»

قالت غاضبة، وبشكل مفاجيء دون ان تتنبه لنفسها: «كنت آمل ان تضمني اليك. ماذا تظن؟ لقد مضى وقت طويل، يا جاك. كنت اعتقد انك تحبني.»

وضع يديه في جيبيه وقال ببرودة: «حسناً.»

أمسكها من يدها وقادها نحو غرفة الضيوف حيث كان قد ترك معطفه. وضع يديه على كتفيها وشدها إليه.

تراجعت روزي عن العناق، وتمتمت غاضبة: «لقد بدلت رأيي.»

اكتفى بالنظر اليها، وقد ارتسمت على فمه علامة استهزاء. تحدته وفمها يرتجف: «هيا، قل شيئاً.»

اجاب بفتور: «انت من غير رأيه. ها قد قلت شيئاً.»

«تماماً. بصراحة، اشعر انك تقدم لي معروفاً. حين استيقظت هذا الصباح ظننت انه سيكون اسعد ايام حياتي. لكنه تدهور وساء.»

هز جاك كتفيه. وظل واقفاً يتمعن بها، ويداه في جيبي بنطاله. كان هناك شيء رمادي يختفي وراء اللمعان الأزرق لعينيه.

قال: «حسناً، كما تشائين.»

قالت روزي بنبرة اتهام: «لقد تغيرت منذ اخبرتك.»

«لا. أنت التي تغيرت، اذ عرفت ان ايما هي شقيقتي، تبدلت نظرتك لي. لكن لا تنسي انني اعتقد دائماً بمعرفتك لهذا الأمر. بالنسبة لي لم يتغير شيئاً، ما عداك.»

شهقت روزي: «لكني تغيرت، كنت ابغضك وها أنا احبك. هل هذا سيىء؟»

«لا، بالطبع لا. لكنه انقلاب درامي واضح.»

«اذاً... انا لا افهم.»

«حين اردتك، يا روزي، سواء البارحة او كل الأيام السابقة اردت شخصاً لم يحبني.»

«انه لمضحك، يا جاك، أنا لم أكن قط كطفل فاسد.»

«أهكذا تنظرين للأمر؟ ما من احد لا يريد شيئاً لمجرد انه عرض مقدم.»

«كيف عليّ ان اعتبره؟»

«لماذا لا تحاولين سؤال نفسك، ما الدافع وراء رغبتي بك حين كنت اعلم تماماً انك لا تحبينني؟»

ترددت روزي. لم يعد يحبها كان من الأفضل لو لم يحب اي منهما الآخر.

قالت بتثاقل: «هأنذا ارى حبي لك ليس كافياً، اليس هذا ما تعنيه؟»

لم ينبس ببنت شفة إلاّ ان رأسه الداكن انحنى قليلاً علامة الموافقة.

قالت غاضبة: «أنا ذاهبة. بوسعي ان استقل قطار العودة الى دوركستر واستقل عربة اجرة من هناك. اني افهم بوضوح، يا جاك، لقد مضى وقت طويل. لا بد انني كنت طائشة اليوم كي لا ادرك ذلك.»

«لا. لن تذهبي يا روزي. أنت زوجتي. ستعيشين معي وسنسوي الأمور. لن ادعك تذهبين الآن. مهما كان السبب.»

«أنا لا اقصد الاساءة، يا جاك لكنني، جدية، لا اعتقد انه يمكنني ان اكون زوجة رجل لديه تحفظات. اريد ان اكون محبوبة لذاتي. أنا لا اتوسل، ان لم يكن مناسباً لك، فعلي ان اتقبله. لكن لنضع حداً لهذا العذاب على الأقل، حتى هنا، عندنا ذكريات، جميلة وقديمة. لنترك الأمور تقف عند هذا الحد.»

«روزي.»

تمنت لو لم يحس بارتجافها: «من الأفضل، يا جاك. عليك ان تعرف هذا. هذه المرة لدي العزاء بمعرفة ان كل هذه الذكريات نافعة. انك كنت تحبني. الاعتقاد بغير هذا امر ضار هذه المرة. انه غير بنّاء.»

انحنت اصابعه فجأة على كتفها، وضغطت بقوة.

«لكن لو تبقين معي سيكون ذلك بنّاء. سترين.»

«لا اعتقد هذا، يا جاك...»

«اجل، لقد تجمدت عواطفك نحوي لوقت طويل، تماماً كما حصل معي. الان علينا ان ندع جبل الجليد يذوب في ما بيننا...»

ارتكبت خطأ النظر في عينيه. كانتا بلون ازرق داكن

وواضح، اذاً، كان يأمل وبقدر ما تأمل هي ايضاً ان تعود له الاحاسيس القديمة.

«انا... سيكون من الأفضل لو ذهبت...» لكنها لم تكن اكيدة من نفسها. كان صوتها يرتجف قليلاً.

عندها حطت يده الأخرى، وقبضت على كتفها الآخر بذات القوة. وصرخ بها: «لا.» هناك شيء مما قالته حقن النار في عروقه. لكن لماذا؟

تنهدت، وهي تمرر اصابعها خلال شعرها لتقول: «أظن انه من المستحسن ان اذهب.»

رمقها بنظرة قاسية الملامح، لا تسويغ فيها، وقال: «لا. ستبقين. لقد تزوجتك لأنني احببتك. سنبقى سوية والأشياء لا بد ان تتبدل، أنا سأفعل ذلك وانت ستفعلين.»

«أنا لن اتغير. لا اعتقد ان بوسعي ذلك.»

شبك يديه خلف رأسه، ونظر مرة اخرى الى السقف. تتبعت بنظرها خط حاجبيه، متفحصة شعره القصير الداكن، الذي تتخلله خصلات رمادية.

وعندها، وعن غير توقع، التفت نحوها وقابل عينيها ثم قال جاهداً: «ستتغيرين يا روزي. سأجعلك تشعرين بتحسن.»

وضعت يديها على وجهها، وفركت انفها بلا هوادة بسبابتها. نظرت إلى يديها، وشعرت فجأة بالخوف. لقد احبته بوله، لكنها لم تعرفه ابداً، كل ما تعرفه انه رجل له طريقته في الحياة.

الفصل التاسع

أصرّ عليها جاك ان تبقى في لندن بعض الوقت. كان حريصاً على ارضائها وودوداً معها. كانت تشعر أحياناً وكأنها مدعوة لحفلة عشاء. لم تشعر بنفسها سيدة المنزل الكائن في هارلي ستريت، إذ عاملتها السيدة ريفز وبقية الحاشية الصغيرة كما يفترض. شعرت نفسها دخيلة حين تقرر بخصوص وجبة عشاء أو حين تطلب زهريات ورد كي توضبها السيدة ريفز في أركان المنزل.

لقد عمل جاك بجهد. أخذها إلى مجموعة المكاتب الحديثة التي تضم الفرع البريطاني لشركة هيلاك كيبك ايستاتيز ليمتد وعرفها على سكرتيرته التي بدت أنثى تثير الازعاج، وسكرتيره الذي كان شاباً، شديد الجاذبية. كما قدمها لعدد من رؤساء المكاتب الذين عكسوا خليطاً من الجاذبية واللياقة، اناثاً كانوا أم ذكوراً. واحدة أو اثنتين أخافتا روزي بعض الشيء وربما سببتا لها رعباً أكبر، ليس من مبرر لخوفها منهما إذ كان جاك مصمماً على جعلها زوجته حقاً، ما لم يكن يتظاهر بحبه لها. لقد تحققت أكثر من مرة انه يحبها، لكن الغيرة عادة تدبّ فيها رغم انها أحبته من جديد.

أول يوم وصل فيه جاره الطبيب، طلب منه ان يراها مجدداً. كانت منشرحة بلا مبرر. لم يكن هناك فيروس وها هو يبحث عن مصادر ألم أخرى. في الواقع بالكاد

أبدى الطبيب اهتماماً كبيراً ليتحقق من صحتها.

أخذها لتتسوق في اليوم التالي وزودها بمجموعة من بطاقات الاعتماد بحيث تملأ وقت فراغها بشراء الحاجيات بينما ينصرف هو للعمل.

سألت: «لماذا سأستمر بشراء الحاجيات؟ ألم نشتر أشياء كافية؟»

هز كتفه وقال: «انني في الوقت الراهن منهمك جداً بعملي. سيكون هذا وسيلة لتفعلي شيئاً.»

نظرت إليه روزي مستغربة، ما الذي جعل زوجها يفكر هكذا؟

لكنه قال حينئذ: «أنت تحبين الملابس الجميلة ولا تمانعين بالانفاق من أجل اقتنائها. ظننت انها وسيلة للترويح عن نفسك بينما أكون مشغولاً جداً.»

لم يكن ذلك جواباً شافياً، لكنه كان تعليقاً جميلاً. لم يعد هناك من عذر لتتركه. كانت مدركة تماماً انه أمضى أربعة أعوام وهو يعتقد انها تركته لأتفه الأسباب. لا ريب في ان هذا هو سبب استمرار الشكوك لديه...

في اليوم الثالث، حملت بطاقات الاعتماد واشترت لوحاً كبيراً للرسم. وتنويعة واسعة من الألوان والفراشي والأقلام. اصطحبها تلك الأمسية لتناول العشاء، وقدمها على انها زوجته أمام حشد من اصدقائه، كان صوته عذباً متناغماً. لم يخبر أياً من الحضور بأنها مصممة ديكور داخلي، قدمها كزوجته فقط. رأت الغيرة في أعين النساء الحاضرات، وودت لو يروها تعمل في مكتبها، لتنقد غيرتهن أكثر. على الأقل كان عملها حقيقياً بمقدار ما هو

زوجها الجذاب الذي امتلكها لنفسه فقط أمام الحضور وبكل كياسة على انفراد.

قدرتها على التمثيل مكنتها من توزيع الابتسامة الساذجة من على محياها مبقية الحديث في نطاق العموميات طيلة وجبة العشاء. وافقت على البقاء معه في محاولة لترميم زواجهما. كان من الخطأ ان يبديا أمام العالم الخارجي أي مظهر سوى الوفاق التام والطبيعي بينهما.

وصل لوح الرسم في اليوم السابع.

«ما هذا؟» سأل جاك فيما كانت روزي تقود الرجال إلى احدى غرف الضيوف المتواضعة.

«أليس واضحاً ما هو؟»

«إذاً، تريدين مواصلة العمل؟ لماذا؟ لقد حققت تقدماً كبيراً بعمل هذا المصنع. لقد تعاقدت مع شاب ذكي حقاً ليقوم بالعمل. شاب لديه خلفية عالية في المجال، وخبرة ادارية، أيضاً لديه عدد كبير من تصاميمك ليضعها موضع التنفيذ. لست بحاجة لعمل أي شيء.»

انفجرت غاضبة: «إذاً تعتقد ان أي شخص كبير مع الخبرة المماثلة يمكن له القيام بعملي؟ كيف تتجرأ؟ هذا عملي. انه يرتكز على معرفتي ومقدرتي. لا حق لك باستخدام تصاميمي. من أين حصلت عليها؟»

قال بفتور: «لقد تركتها عند اوبري. إذا كنت مهتمة فانني أعين من ينوب عني لاجراء تعاقدات في الأيام الأخيرة، هذا من صلب عملي. سأقلك معي في رحلة إلى جزيرة في المحيط الهندي لمدة شهرين، أشبه بشهر عسل مؤجل.»

قالت بامتعاض: «لقد أمضينا شهر عسلنا، يا جاك. أنا لا أظن ان هناك أسوأ من شخصين مهجورين في جزيرة خاوية. لن يكون هناك شيء للحديث حوله. انت لم تسألني أبداً عما اشتريته. ضمن دقائق سنغوص في الصمت.»

استدارت وذهبت لترقب ترتيب غرفة العمل. لم يشر إلى العطلة مجدداً. كانت تلك المرة الأولى التي سارت فيها الأمور وفق ما تشتهيه.

حضرت مارغريت إلى القرية لمناقشة بعض المسائل في ليتل بورن هول، ووافقت على مراقبة بعض الأشياء في غياب روزي. التقت واوبري في غداء خفيف لمناقشة بعض الأعمال. ثم اصطحب جاك روزي دون ازعاج نفسه باخبارها حول المدعوين. جلست روزي هادئة قدر الامكان، وابتسامة تعلو ثغرها ولكن عينيها كانتا تغدران بها.

وعند تناول القهوة، قالت مارغريت: «جاك، أريد ان أتحدث جانباً مع روزي. لدينا أمور عمل كثيرة لمناقشتها.»

حنى جاك رأسه، وابتسمت روزي موافقة، إذ كان فمها جافاً من الخوف. ماذا يمكن لها أن تخبر مارغريت حين ينفردان جانباً؟

لم يكن لها ان تتعب عقلها. فقد وضعت مارغريت جدول العمل بوضوح منذ البداية.

«ما الذي يجري، يا روزي؟»

«ألم يخبرك والدي؟ لقد تكلمت معه هاتفياً بعد يومين من وصولي إلى لندن. أنا وجاك متزوجان.»

«أجل، أخبرني ذلك. اعتقد انه أصاب التخمين.»

قالت روزي مؤكدة: «انه حكيم جداً...»

«ليس حكيماً بذلك القدر. ليس حكيماً كفاية حين لا تليق له المعاطف اطلاقاً.» وابتسمت ضاحكة في وجه روزي. «إذاً، متى تزوجتيه أيتها الفرس السوداء؟»

«في الواقع، تم زواجنا في عجلة من أمرنا حين التقينا للمرة الأولى، منذ أربعة أعوام.»

«والآن، تندمين على الوقت الضائع؟»

«لا. ليس هذا. انه فقط... حسناً، كانت هناك سنوات من سوء الفهم. قد تدوم الأمور أحياناً.»

«هل تحبينه؟»

هزت روزي رأسها علامة الموافقة. «نعم، وإلا لما كنت هنا.»

زمت مارغريت شفتيها: «حسناً إذاً. بعد كل هذا، هو يحبك أيضاً. ستسير الأمور على ما يرام.»

«عفواً؟»

«أنت تعرفين. هذه الكلمات التسع التي قالها حين التقيته في البداية.» وأظهرت مارغريت أصابعها وعدت الكلمات واحدة واحدة. «أنا أحب روزي وبلا شك سوف أحصل عليها.. تسع كلمات هذا هو كل شيء. أو تسع كلمات أخرى لنفس المفعول، على أية حال الكلمات الثلاث الأولى صحيحة بالتأكيد.»

شعرت روزي بوجهها يتقد احمراراً. لقد قال هذا، قاله فقط بعد بضعة أيام من التقائهما مجدداً. لم يكن ليعنيه هكذا. أوه، لو قال ذلك فعلاً، فقد غير رأيه بسرعة بمجرد أن

عرفها على نحو أفضل، أياً كانت النظرة للأمر لم يكن تفكيراً مريحاً.

جلس جاك ذات ليلة في مكتبه واتصل هاتفياً بروزي: «هل أنت بخير؟ السيدة ريفز تستطيع أن تعتني بكل شيء.»

«بالطبع. سأكون بخير. انه ليس كما لو كنا... من المستحسن ان يكون لدي وقت للمطالعة.»

«نحن ماذا؟»

«عفواً؟»

«بدأت بالقول انه ليس كما لو كنا. ماذا كنت ستقولين؟»

«لا شيء.»

قال بنبرة قاطعة: «روزي. اخبريني.»

«بكل صراحة. لا يهم.»

«لو تحدثنا أكثر في الماضي، لما انتهى الأمر بنا إلى هذا الاشكال. لذا ابدأي بالحديث.»

انه أمر يدل على عدم الاعتدال. امتعضت روزي: «انه لشيء مؤسف! أنت الذي لم تخبرني انك شقيق ايما. كان لك ان تفكر بما يمكن أن يدور في خلدي عندما رأيتكما معاً، لكن عندما عدت للمنزل متظاهراً بأنك خرجت لعذر ما، أنت كنت تعرف انني لست على علم! لم تخبرني شيئاً عن عمد. لذا لا تخبرني انك ترغب المصارحة، يا جاك هيلاك!»

«فهمت قصدك، ومع هذا أنت التي تبقين المعايب والمحرمات طي الكتمان. أنت من لا يرغب بالحديث الآن.»

«أنا لن أفعل إذا كان عليك أن تعرف ما كنت أعتزم قوله قبل أن أتوقف، فهو أنه لا توجد أشياء كثيرة لنتحدث عنها. هذا يعني انك ستأتي في المساء وسنتحدث عن الجو

ومسائل عامة أخرى. بوسعي سماع هذه الأخبار من التلفزيون، شكراً لك.»

وعندها وضعت السماعة. لم تعرف إذا كانت تأمل أم لا، ان يجلبه هذا على عجل إلى هارلي ستريت. لكن لم يحصل ذلك، وهي لم تبالي. فقد أمضت الأمسية وهي تعمل على لوح الرسم وظلت جالسة لوقت متأخر وهي تصمم بلاط الحمامات. كانت ترسم بأقلام التلوين أشكالاً ريفية على بياض وتعيد الأشكال مرات ومرات. كان العمل ترياقاً ناجعاً مقابل جاك. كان مساعداً على التهدئة بقدر ما هو يثير الاضطراب.

عندما عاد في اليوم التالي لتناول فطور الصباح ولتغيير ملابسه سألته: «ما أنت فاعل؟»

«ابدل ملابسي.»

«أوه.»

«لماذا؟ هل تريدين شيئاً؟»

«آه... أنا خارجة في الواقع. فقد شذبت أظافري.»

حين وضعت رداءها توجهت إلى الحجرة لتجده وقد ارتدى زياً من القيطان ومعطفاً صوفياً بلون رمادي وبنفسجي.

«ألست بذاهب إلى العمل؟» سألته وهي تبحث عن فرشاة شعرها وتمررها عبر الأطراف المبللة.

«لا.»

«هل هناك من سبب؟»

«ظننت انه بوسعنا تناول الفطور سوية. وان نتحدث وربما نذهب إلى دورسيت.»

«آه!»

لا بد ان عينيها انفتحتا واشرقتا كنور المنارة عند ذكر اسم دورسيت، إذ رد عليها بابتسامة هازئة وقال: «انني مسرور لأن جزءاً من اقتراحي لقي موافقتك على الأقل.»

كانت منشرحة جداً إلى حد انها لم تعر أي اهتمام لتعليقه. انفجرت قائلة: «لمن دواعي السرور العودة إلى القرية. في الواقع كنت أفكر اليوم ان أعود للبحث عن بنطالي وهندامي.»

«ولكن بوسعك الشراء من هنا عوضاً عنها.»

«آه، يا جاك! ألم ترتد قط سروالاً للعمل؟ السراويل الجديدة شنيعة، إذ تبدو وكأنها لوح كتابة وثقوب الأزرار قاسية. على أية حال السراويل الجديدة مزعجة وإذا ما ابتعت النوع القاسي فإنه لا يدوم على الاطلاق وتنتشر الفتحات عند الركب. عليك إذاً ان تبحث عن سراويل جديدة الواحد تلو الآخر. لكن، يمكن استعمال الجديد بالتناوب مع القديم إلى ان يصبحا قديمين أيضاً. بالطبع أحبذ لو اشتري زوجاً منها وأطلب من السيدة ريفز ان تغسلهم لثلاثين مرة لكن...»

قاطعها بسرعة قائلاً: «لكن، إذا لم تسرعي بارتداء ملابسك فان الطعام سيبرد.»

قالت بصوت اتهام وهي تتوجه إلى غرفتها لارتداء تنورة من قماش قطني غليظ وسترة من الحرير: «من المفترض أن تكون أنت من يريدني أن أتكلم وحين أفعل ذلك تسكتني بسرعة.»

لم يجبها على الفور، لكن عندما عادت إلى الغرفة مرتدية ملابسها نظر في ساعته وقال: «خمس دقائق مرة أخرى. أنت منضبطة جداً.»

انتهت محاولاتها لمحادثة حقيقية خلال الافطار إلى الفشل. إذ لم تسعفها حقيقة ان جاك واصل تناوله الخبز المسخن مع الزبدة. كان هذا يجلب ذكريات لمخيلتها. كما لو كانت بحاجة إلى عنصر اضافي لتذكيرها هذا الصباح... وكل صباح.

وأخيراً انفجرت روزي: «لا أدري. ما المفترض ان يدور حديثنا حوله؟ إلا إذا كنت ترغب الاعلان انك أخيراً مغرم بي، فلماذا لا تبادر إلى ذلك؟ أنا لن أوافق ان هذا هو أكثر الأماكن رومنطيقية لقول ذلك. أعدك.»

تنهد جاك وهو يضع سكينه بتثاقل ويقول بضجر: «ليس هذا ما يذهلني.»

استقرت الخيبة كالرصاص في معدتها. تنهدت وقالت: «أنا لم أفكر حقاً انه...»

سكتت حين رأته يحدق بها ببرودة فتابعت قائلة بصوت أشبه بالنحيب: «ليس من المستحب ان تنظر إليّ هكذا. فأنا أشعر كالطالب المحرج في امتحان المعلومات حين لا يستطيع الاجابة على أسهل الأسئلة اطلاقاً. لا أعرف ماذا تريد مني أن أقول.»

استمر في تحديقه الصامت بها.

سألت أخيراً: «هل تريدني ان أحزم حقائبي؟ ألهذا تنوي اعادتي إلى دورسيت؟ هل بوسعي العودة إلى منزلي؟»

أجاب بصوت خشن: «هذا بيتك. هذا وليتل بورن هول. من المستحسن لو تتذكري هذا.»

رفعت ذقنها بتحدٍ: «فقط لطالما اختار ذلك يا جاك. أنا سيدة نفسي.»

«مع هذا يصعب عليك التحقق من الأمر. لقد حولت المنزل إلى استديو في حين لست بحاجة إلى ذلك؟ ترفضين غالباً ان تنفقي من أموالي أكثر مما تحتم عليك الحاجة، ووجبات الطعام، لا بد ان تكون أسوأ أنواع الطعام. الا تستطيعين حتى ان تحاولي أن تكوني زوجة لي، يا روزي مهما استدعى الأمر؟»

«ما مشكلة وجبات الطعام؟»

«حساء براون وندسور! هذا هو الخطأ في وجبات الطعام. شرحات سمك البلايس على البخار مع قطع الليمون. مربى الفاكهة. أنت تتعمدين هذا.»

«اعتقدت ان هذا هو نوع الوجبات التي يجب ان أطلبها! ليست لدي الخبرة باعطاء توجيهات لعمال المطبخ.»

«لكن لوالدك ربة منزل.»

«أجل. لكنها صديقتي. أنا أطلب منها فقط الأشياء التي نشتهيها أنا ووالدي. هذا يختلف. لا أدري ماذا أفعل هنا.»

«حسناً، لِمَ لا تفعلي الشيء نفسه هنا؟ أو انك تحبين حساء براون وندسور؟»

«ليس كثيراً. لكنها من المأكولات التي تراها على قوائم الطعام. بدت ملائمة.»

قال: «لقد انبأتني السيدة ريفز انها اضطرت لتبحث في كتاب من أيام الحرب لتجد طريقة اعداده.»

حدقت روزي به. وعندها بدأت تضحك: «آه يا عزيزي. أتوقع اننا أصحاء للغاية. ألا تعتقد ان وصفات زمن الحرب ملائمة لك؟»

مع هذا لم يضحك جاك. ضرب بقبضة يده على الطاولة فاهتزت الأكواب والصحون كلها دفعة واحدة. «ما بك، يا روزي! ألا ترين ان هذا هو صلب الموضوع؟ إذا وجدت هذا الأمر مشكلة فلماذا لم تناقشيها معي بدلاً من ان تخرجي من الذاكرة قائمة وجبات بالية وتحوليها إلى وجبة يومية؟ ليس بوسعك القول انك أعرت الموضوع أي اهتمام يذكر في تفكيرك. بخلاف عملك. حسناً... يبدو انك لم تولي أي شيء آخر تفكيرك.»

ابتلعت روزي ريقها بقوة لتمنع نفسها من الضحك أمام صخبه الشديد، لكنه مجرد صمت لثوانٍ وانفجرت بالضحك من جديد.

أبعد كرسيه إلى الخلف، وغادر الغرفة بعدما ألقى نظرة انزعاج. أسندت مرفقها إلى الطاولة وغطت عينيها واستمرت بضحكها، إلى ان بدأت تبكي.

في سيارة جاك مسجلة مع سماعات ستريو. كانا سعيدين بها خلال الرحلة. بدت ليتل بورن رائعة وخاصة مع ألحان السمفونية الخامسة لبتهوفن. أما عرائش الفرجينيا التي اختلطت باللبلاب الأخضر اليانع على حافة المنزل، فقد عكست لوناً أحمر يجذب الألباب.

أطلقت روزي تنهيدة عميقة. كل هذا مغر. الرجل الذي اغرمت به. الدار التي أحبت. والدها وأفضل صديقة مقربة منها. كل هذا هو المراد بعينه، ما لم...

ما لم ماذا؟ كانت تعرف في قرارة نفسها انها تنتظر ان يحبها جاك من جديد... وهو بوضوح الأمر الذي لن يحصل. وبدوره كان ينتظر ان تقع في غرامه من جديد. وهو ما أقرت بروزي أيضاً بأنه لن يحدث. فبعد كل هذا هو لا يحبها. انه يتصرف كما لو كان بعيداً عنها. هو حذر ولبق بمعاملتها، ومع هذا فهي ما زالت تحبه. ألقت نظرة خاطفة على وجهه فيما كان يوقف السيارة جانباً. الشعر الداكن الكث والقصير يندفع من جبهته العالية، والأنف المستقيم والذقن الناتئة والفم المخطوط بعناية.

كانت مارغريت جد مشغولة بالأجزاء الداخلية من المنزل وتسعى للتأكد من وضع رسومات ونماذج روزي موضع التنفيذ العملي لتنقلب واقعاً جميلاً. أصبحت غرفة الجلوس بأبوابها الفرنسية التي تطل على الصومعة في الخارج، غرفة مريحة جيدة الانارة بدلاً من تلك الغرفة شبه المظلمة، وفيها اختلطت الألوان الصفراء مع الزرقاء الشاحبة لتعطي ألواناً مريحة. مفروشات من القماش القطني المطبع، المنخفضة العلو، وطاولات من السنديان الخفيف، مصابيح كبيرة موضوعة على أرض الغرفة، كلها أخذت مكان الخرق الحمراء الداكنة. والشمعدانات المعفرة بالغبار. فقط، الموقد بقي على حاله.

سأل جاك بكل وقار: «أتودين ان تشربي شيئاً؟»

أجابت روزي بعذوبة: «أجل.»

«ماذا ترغبين؟»

ارتسمت على محياها امارات الخبث. كان هذا جزء آخر

من محادثاتهما. «كاكاو ممزوج مع الحليب المركز والمحلى.»

كبس على زر أحد أجهزة الاتصال الداخلي وطلب لها الكاكاو. عندها جلس قبالتها وكتف ذراعيه.

وقال بتجهم: «أنت تبحثين عن مشاجرة طيلة اليوم. إذاً هيا...»

أطلقت روزي تنهيدة أخرى عميقة. انه على صواب. كانت ترغب بالجدال معه حتى تطلق العنان لكل الأشياء التي لا معنى لها. لكنها كانت خائفة من فقدانه حتى القليل الذي تملكه منه. كانت تكره هذه التسوية، لكنها لم تكن لتطيق فكرة خيارات أخرى.

قالت بضجر: «لا شيء يا جاك...»

«هذا ليس بصحيح.»

«لا، ليس بصحيح. لكنه أفضل من الشجار الذي لا نفع منه.»

«هل أنت متأكدة؟ هل أنت مصممة حتى لا تجازفين بكشف أوراقك؟»

قالت مدافعة عن نفسها: «جاك، ألا تفهم اني لا أقدر على تبديل طباعي؟ مرة أخرى يبدو انه بوسعك أنت.»

«إذاً، نستمر على هذا النحو إلى ان يبغض الواحد منا الآخر ولا يعود هناك شيء لانقاذه؟»

«أنا لن أحقد عليك يا جاك. ظننت اني كرهتك ذات مرة، لكن كان ذلك قبل ان اعرف الحقيقة.»

«إذاً، أنت سعيدة بهذه الأحوال؟»

«لا. بالطبع لا، لكنني سأتعامل مع الأشياء على هذه

الطريقة. إن كان الأمر سينتهي بأن تنبذني وتنقطع علاقتنا، فعلي ان أتكيف مع هذا الوضع.»

«ومع هذا تسعين لحبي...»

«أنا آسفة لأن هذا يضايقك جداً، لكن نعم أنا أسعى لحبك. أرغب لو تمالكت نفسي بعض الشيء حين اكتشفت الأمر بينك وبين إيما. وعندها لم استطع ان اخبرك بأني وقعت في حبك من جديد. كان من المريح لي ان أعيش معك كزوجتك لو فكرت بأنك لا تعرف. لكني كنت غبية إلى حد ذكر الحقيقة، وسأشعر بالعار إذا بدأت بالكذب الآن. لك ان تتقبلني كما أنا أو تتركني كلياً.»

«كونك تحبينني، ألا يعني ان ترضي شعوري؟»

«لن أفضل شيئاً آخر، لكنني لن أحاول ان أكون انساناً آخر. أيها ستكون المسألة؟ هل ستوليني اهتماماً أكثر إذا حاولت ذلك؟ وهل سيرضيك هذا فعلاً يا جاك؟»

وصل الكاكاو المحلى عند هذه اللحظة. أخذت منه رشفة ووضعته جانباً.

نظر بامعان نحو النار وسأل عندئذ: «ما تقولين لو اخبرتك بأنني سأقيم حفلة هنا وأدعو ايما إليها؟»

أغلقت روزي عينيها. هل هو لا يطيق فكرة تمضية العطل وحيداً معها؟ انه لمدهش، ومع هذا فهي ما زالت تشعر بالخيبة. هل ستكون الأمور أسهل لو كانت ايما هناك؟ مذ اكتشفت الحقيقة وأحاسيسها المرة نحو شقيقتها تزول وحدها. وما زالت هناك حقيقة انها هي التي حرضت والدتها على الرحيل، وهو أذى لم يزل بعد. وإذا ما تشاجرت الشقيقتان فان جاك سينزوي وايما.

وهذا لن تطيقه روزي في الواقع، ومن المحتمل ان يقف إلى جانب ايما. فهو بكل حال يحب شقيقته الصغيرة... وهو ما لا يحسه تجاه زوجته...

«آه. لست متأكدة من انها فكرة جيدة...»

ومن دون ان ينظر اليها وقف وانطلق نحو غرفة عمله، متمتماً بشيء يتعلق بعمله.

كانت هناك قاطرة صغيرة في المرآب، استعارتها روزي وانطلقت لتزور والدها. لكن لمفاجأتها لم يكن موجوداً لا في المنزل ولا في الاسطبل. أخرجت سروالها وهندامها وقميصين وعادت إلى ليتل بورن. بعد تبديل ملابسها راحت تجمع أوراق الشجر من المرجة الخضراء الواسعة. وبعد ساعة من العمل المتواصل تحت أشعة الشمس احمرت وجنتاها وتمكنت من مراكمة كومة من أوراق الشجر والاغصان في زاوية الحديقة. كان الظلام قد هبط حين توجهت إلى المطبخ بحثاً عن ثقاب، لأن الجو اصبح بارداً وتريد اضرام النيران في الموقد.

كان اللهيب يدب ببطء في الليل، باعثاً فيها الدفء والعزاء، كان لها ان تمضي بقية عمرها وهي تتمتع بهذا المنظر. لكن لم يمض وقت طويل حتى داهمتها أصوات وأخرجتها من أحلام اليقظة.

«أأنت بلهاء؟» كان لصوت جاك نبرة مرح غير مألوفة.

«أنت لا تسندني بالقوة الكافية. هذه هي المشكلة. لمسكني جيداً!» كان هذا صوت مارغريت بلا شك.

«أهكذا أفضل؟»

«جداً، الآن ضع يدك هنا... تماماً. هممم. هذا جيد.»

أدارت روزي ظهرها للنيران لتبحر بنظرها في الظلام. لكن التحديق بالنيران أغشى عينيها. وما كان لها إلا ان ترى الظلام.

«يا مارغريت!» كان صوت جاك مؤنباً هذه المرة.

«آه، انك طاعن في السن محتشم.»

تنحنح وقال: «محتشم! يا لها من وقاحة! فقط لأني تجرأت ان اقترح عليك هذه البلوزة وهذا الكعب العالي من أربع بوصات من أجل مغامرتنا الصغيرة.»

بدأ قلب روزي يخفق بشدة. وشعرت بطعم المرارة في لسانها. ما لها ان تصدق مسامعها. لا طاقة لها بذلك. لا بد ان هناك توضيح بريء، وما عليها إلا الانتظار.

الايضاح البريء أتى للتو وفجأة من بين لهب النار، في العتمة من ورائها. كانت مارغريت وجاك قد التفا سوية في معطف من الكشمير الغالي. وكان الكعب العالي لحذائها يقوم بمهمة تهوئة المرجة الخضراء، وجاك يفعل ما بوسعه ليمنعها من الوقوع مع كل خطوة.

«مرحباً!» أطلقت مارغريت تحيتها. «يا لها من نار رائعة. لقد لمحناها أنا وجاك وقررنا ان نأتي لرؤيتها. لقد جلب جاك بعض الكستناء.»

أخرج جاك من جيب سرواله حفنة من حبات الكستناء. وقال شارحاً: «هناك شجرة كستناء على الطريق، التقطت بعضاً منها حين رأيتك تهمين باشعال النار.»

هزت روزي رأسها موافقة وتمتمت: «عظيم.»

لا توجد براءة أكبر. فلماذا شعرت بالغيرة إذاً؟ لا يمكن بالتأكيد لمارغريت ان تفكر باغواء جاك، وهي تعلم حقيقة

الوضع. وللحق، كان جاك يساعد مارغريت بكل كياسة على عبور المساحة المليئة بالحفر.

لم يكن هناك شيء على الاطلاق، سوى نبرته الدافئة عند محادثتها. لم يكن هناك سوى جو المرح في كلاهما. وشعرت بأنها مستثناة.

قال جاك هازئاً: «سأشتري لك حذاء ذو كعب منخفض يا مارغريت.»

«اشتر كل ما تشاء، فأنا لن ارتديها بالطبع.»

«لا بد لك إذا كنت تودين العمل معي. فغالباً ما نتخذ القرارات بالنسبة للفرش والبناؤون غائصون في الاسمنت. لن آخذك لمناقشة مسائل وأنت منتعلة أحذية من هذا النوع. لا بد ان ألح.»

«لكن ليس حذاء خفيفاً يا جاك.»

«إذاً جرموق، زوج من الجرموق مصمم خصيصاً ليناسب نعالك.»

بدأت الضحكة تعتمل عميقاً في صدر مارغريت. انفجرت كسلسلة من الصهيل قبل ان تطلق ضحكة واضحة غنية من حنجرتها. «جرموق بنعال عالية! عظيم! لا بد ان اخبر كالفين كلاين!»

ضحكة مارغريت جميلة لدرجة ان جاك لم يحاول مقاومتها. وبلحظات رافقها الضحك.

لم تكن عزة نفس الرجال. كانت غيرة. كانت تحدق نحوها كالنصل المسنون، مقطبة وجهها بكرب واضح، لأنه إذا كانت مارغريت تسمح لنفسها بالضحك على هذا النحو بوجود جاك فذلك لأنه يعجبها جداً في الواقع.

وباعتبار مشاركته إياها في الضحك فهو يبادلها المشاعر.

حين ضحكت روزي ذلك الصباح، سار هو سقيماً متذمراً.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

استيقظت روزي متأخرة في اليوم التالي.

كانت قد استيقظت منذ منتصف الليل، وبقيت تعذب نفسها. ليس لمجرد التفكير بان جاك يحب مارغريت، اذ ودت لو بوسعها ان تثق بمارغريت ما فيه الكفاية لتتفادى هذا النوع من التعقيدات. لكن المسألة واردة باعتبار ان الأمور قد تغيرت، فبدونها، يمكن لجاك ان يقع في حب من يجعله يضحك، لا من يضايقه، ويبقيه غارقاً في جو مهموم طيلة الأربع والعشرين ساعة.

مع هذا كانت معه، هي التي احبها ولم يحبها، والتي كانت تجعله بارداً كالثلج فقط لمجرد ضحكها.

مدت يدها ولمست كتفه، وتنهدت قائلة: «جاك... هل انت مستيقظ؟»

استدار نحوها وفتح عينيه. ثم عاد لاغلاقهما بسرعة.

«روزي..؟» اتى صوته غير واضح كعادته في الصباح الباكر.

«جاك. البارحة نحن لم نتحدث عن القضايا الهامة.»

«ألم نتحدث؟ لكني اعتقد بأنك اخبرتني بكونك غير مستعدة للتغيير. وبقدر ما يعنيني فقد كان حواراً كافياً.»

«لكن الأمر، يا جاك، إذا كنت أنا لا اريد التغيير، فلماذا إذاً تريد ان تبقي على زواجنا؟»

قال بصوت خشن منفعل: «نحن بحاجة لبعض الوقت. ستربن. انا لا اسلم بسهولة، يا روزي.»

غادر الفراش واندفع عبر الغرفة باتجاه الحمام الفيكتوري الطراز، الذي لم تمسه بعد يد مصممي الديكور. نظرت إليه، حائرة. سمعت فرقعة المياه في الحمام والمندفعة من انابيب المياه القديمة.

بعد حين شعرت روزي بحاجتها للبحث مع مارغريت حول تصاميمها. وللمرة الأولى في حياتها احست بنفور وتردد من اخذ سماعة الهاتف وطلب رقم صديقتها المقربة. كان يدفعها الحافز لتعريف نفسها امام جاي بلاكلير، المسؤول عن تشغيل المصنع الجديد في دوركستر. استعارت القاطرة وذهبت لتبحث عنه.

كان يكبرها بثلاث أو اربع سنوات، وبدا متألقاً بجاذبيته، وشعره الكث الأسود المائل للحمرة، وشخصيته المنفتحة. وكان كما قال فيه جاك، قديراً، موهوباً. امضت روزي طيلة اليوم برفقته.

وفي ختام اليوم كانت قد اجتذبتها فكرة التعاون معه، وقد اصر بدوره ان تواصل هي شخصياً عمل كل التصاميم. كان واضحاً انه لا يمتلك ولا حتى نصف قدراتها الابداعية. وحين عودتها إلى ليتل بورن كانت تطير من الفرح.

الا ان العشاء مع زوجها ازال عنها البهجة. كان عنيداً اكثر مما مضى ولم يكن ليعرف حتى حال الطقس، فكيف الأمر إذا ما تعلق بمناقشة موضوع اقتصادي. ذهب إلى غرفة عمله بمجرد الانتهاء من تناول الطعام، ولم يظهر من

جديد. وحين ذهبت إلى غرفتها وجدته نائماً هناك. هذه أول مرة يحصل فيها هذا، فاغتاظت بشدة.

عند تناول الافطار في اليوم التالي، كانت تفكر إذا كان عازماً على تركها. «ما هي خططك؟»

هز كتفيه: «ليست لدي اية خطة. لا نية لي بالعمل، على أية حال. هل نذهب إلى ويموث ونركب القارب؟ بوسعي اصلاح العطل خلال ساعتين.»

هزت روزي رأسها علامة الموافقة وهي تشعر بالغبطة الشديدة: «حسناً. فكرت بالذهاب إلى المنزل في أية لحظة لأخذ سيارتي واشاهد والدي. لكن لا يهم، إن ذهبت باكراً أم في وقت متأخر، بوسعي ضبط وقتي.»

«توجد سيارات هنا، بوسعك استخدامها.»

«اعرف ذلك. لكن احبذ استخدام سيارتي. وبودي ان أرى والدي. لماذا لا تأتي وتلتقي به، يا جاك؟»

«ربما عليّ أن اتصل بالمكتب أولاً لأرى إذا ما كان هناك من أمر لمعالجته. بمقدوري ان اقلك إلى هناك.»

تنبهت بسرعة لكونه قال قبل قليل بأنه لا عمل لديه. كانت تفضل مشاهدة والدها ولو على حسابه لتخبره حول كل شيء. ربما يؤدي الحديث إلى توليد افكار في ذهنها.

تم الاتفاق على القيام بنزهة في القارب عند المساء. رد جاك على المزيد من المكالمات الهاتفية المتعلقة بالعمل، لكنه اصر على ان تأخذ السيارة لتزور والدها وتتركها إلى حين جلبها لاحقاً. وعند الحادية عشرة وصلت إلى المنزل الذي مازالت تعتبره بيتها، مرة اخرى لم يكن والدها هناك. فذهبت إلى موقف السيارات في فارمرز آرمز.

كانت على يقين من وجود والدها هناك، لأن ضحك مارغريت كان مسموعاً في الخارج. وما كان لمارغريت ان تذهب إلى فارمرز آرمز بدون دعوة والدها. عظيم. من المستحسن ان ترى مارغريت مجدداً، بعيداً عن هالة جاك.

كان والدها يستند بإحدى ذراعيه على كتف مارغريت، التي كانت ترتدي تنورة جلدية خضراء اللون، وحذاء لماعاً ومعطفاً من وبر الأرنب.

«مرحباً!» ابتسمت روزي وهي تقترب منهما.

«روزي!» رفع والدها ذراعه عن كتف مارغريت واتى ليعانق ابنته عناقاً قصيراً. لم يقل شيئاً، لكن عينيه صرحتا بسعادته البالغة لرؤيتها.

امرت مارغريت: «اعثر لنا على طاولة، يا داني. قد يبدو لك لائقاً جداً الركون إلى مثل هذا المقهى، لكننا نحن الفتيات لا نعتقد ذلك. لا نريد ان نلقي العفن المتراكم لسنين طويلة يلوث معاطفنا، الا توافقيني، يا روزي؟»

«على ذكر المعاطف الملوثة... ماذا حصل لمعاطفك يا والدي؟ لم ارك ترتدي المعطف الرياضي منذ ذهبت إلى دار السينما آخر مرة.»

قالت مارغريت وهي تعض على شفتيها: «والدك القى نهائياً بمعطفه الذي يقزز الأبدان إلى الأبد.»

هز داني رأسه مؤكداً، وتمتم: «هذا صحيح، انه شيء قديم. لقد القت بكل الأشياء في صندوق القمامة. قالت انها ستبتاع بزة عمل من القماش الناعم برتقالي اللون لتعوض عما القته. لكن هذا لا يبدو سوى مقايضة معي.»

ضحكت روزي: «لكن كيف تمكنت من هذا؟»

ردت مارغريت باخراج قطعة صغيرة من حقيبتها واعطتها لروزي كي تعاينها. كانت القطعة تمثل خاتماً صنع بشكل يدوي، ويبدو بشعاً.

«لقد اعطاني هذا ورضيت به شرط التخلص من كل الملابس المحاكة بحوزته.»

قال داني، وهو يضع دعامة خشبية: «انه محبس ارتباط منزلي.»

همهم والدها سعيداً، وراح يطلق ضحكات خافتة. وبدأت روزي بدورها، تضحك من السعادة البالغة. لم تكن لتبدو تلك اللحظة المناسبة لتبلغهما انها تفكر بالعودة إلى المنزل... خاصة ان مارغريت لا تضيع وقتها سدى بخطبة طويلة الأمد.

قالت وهي تتلوى: «لن اعطيه مجالاً ليبدل رأيه.»

بعد قليل التفت داني نحو ابنته وعيناه تشعان: «أنت فعلاً مسرورة لأجلنا. أليس كذلك يا روزي؟»

«آه، اجل بالطبع. انا سعيدة من أجلكما! ولِمَ لا؟»

عبس والدها وقال: «أوه، انت تعرفين امك. اني متخوف من أن نكون قد تزوجنا لذات الاسباب الخاطئة كل هذه السنوات. آه، هناك اسباب كثيرة... مثل الرفقة والاحترام والاطفال. لكن الاسباب الخاطئة كلها متشابهة.»

«انني مسرورة لأنك احببت اخيراً. بكل صدق.»

تورد وجه والدها، وقال: «لقد فكرت بالأمر ملياً، الم افعل ذلك؟ لكن الآن افهم ما احست به والدتك كل هذه السنوات الماضية وأنا اقدر فيها تحديداً كيف كابرت على نفسها.

اعلم انك ستفهمين ايضاً، بعد أن عدت للرجل الذي تحبين، انها ايما المسكينة التي ما زالت مثبطة العزيمة.»

ابتلعت روزي ريقها بقوة، وفكرت باكتئاب انها ليست ايما فقط. قد يكون هناك فتور احياناً في بيتها...

لكن ما من احد يمكن أن يشعر بالتعاسة مطولاً بصحبة مارغريت.

في ما بعد، بعد الاكثار من تناول الشاي والضحك، قالت روزي: «لم افكر قط بأنني سأرى اليوم الذي يلقي فيه والدي بمعاطفه.»

ردت مارغريت بصوت جاف: «ولا حتى انا. لكنه أول بادرة من مجموعة تغييرات، أليس كذلك، يا عزيزي؟»

قالت روزي باخلاص: «اني سعيدة جداً لكما.»

وعندها عانق داني عروس المستقبل.

كانت تلك تحديداً اللحظة التي اختار فيها جاك الدخول. يجب الاعتراف بأنه وسيم. ما ان فتح الباب حتى عم الصمت المكان. حيا بإجلال صاحب البيت، واخذ بهدوء طريقه إلى طاولتهم. وكرر تحيات الاحترام لكل من داني ومارغريت، اللذين ابتعدا عن بعضهما امام السكوت المفاجيء، لكنه انقذ الموقف بتوجيه الكلام إلى روزي. امسك بذراعها، وقال: «واخيراً وجدتك. الا تدركين كم هي الساعة؟»

«آه، النزهة في القارب الشراعي!» ووقفت بسرعة.

قال بصوت مبتور: «تماماً. النزهة الشراعية.»

«لقد نسيت.»

«انني مسرور. الآن اسرعي.»

«لكن جاك... هذا والدي... هو ومارغريت...»

القى جاك نظرة من عينيه الزرقاوين نحو داني ويلز، وقال: «انني مسرور لرؤيتك. لكني متخوف انه لا بد ان نتعارف في مناسبة اخرى. فأنا وروزي مضطرين للاسراع بفعل عامل الوقت.»

وقبل ان يتسنى لروزي ان تحتج اكثر، دفعها بخشونة ممسكاً بذراعها، ليبدو المشهد، لمن يراقبه، انه يستحوذ عليها بقدر ما يلف ذراعه على كتفها. ومع هذا، فمن وجهة نظر روزي، بدا قسراً لا ضرورة له ان يمسك بها بقوة إلى جانبه، ويرغمها على الظهور بمظهر المرافقة الطوعية له، في الواقع ليس هناك ما يخالف الحقيقة.

وحين اصبحا في الموقف ادمعت عيناها: «هل انت بحاجة لتكون فظاً هكذا؟»

«ألم تكوني أنت؟»

«لم اكن فظة. كنت اود تعريفك بوالدي.»

«لقد سبق وقدمتني لوالدك. الا تذكرين؟» وعند هذا فتح لها باب السيارة ووقف جانباً ليتيح لها المجال للدخول.

عندها استوى وراء المقود وقال: «اذاً، نسيت اننا ذاهبان في نزهة شراعية؟»

«أجل، لكن فقط بسبب...»

«فقط لأن لديك شيئاً افضل لتسرفي وقتك به.»

اجابت غاضبة: «فقط لأنه هو ومارغريت اعلنا للتو عن خطبتهما... هذا ما حصل.»

كانت السيارة تتحرك بانسياب. لكن ما ان فرغت روزي من كلامها حتى داس جاك على المكابح، وأوقف السيارة مصدراً ازيزاً قوياً.

«ماذا قلت؟» فتح جاك عينيه ملياً وهو يلتفت نحوها.

«أجل. سيتزوجان خلال اسابيع، لِمَ كل هذه الصدمة؟»

عندئذٍ، علا الشحوب وجهه، وتمنت لو انها لم تستفسر عن السبب.

تمتم هازئاً: «لأني توقعت شيئاً افضل من مارغريت.»

حدقت روزي امامها بعينين متحجرتين، عاجزة عن مقابلة عينيه، ومشدوهة من اجابته.

كانت النزهة بالقارب الشراعي مشروعاً فاشلاً، بالطبع. فقد شغل جاك نفسه بأمور الملاحة في احد اطراف القارب، فيما انهمكت روزي بالنظر إلى البحر من الطرف الآخر.

في اليوم التالي، أحضرت سيارة جديدة مكشوفة الغطاء، إلى باب المنزل، تحمل اسم روزي. فكرت روزي، لا بد أنه مذنب، وهي تغلق غطاء السيارة باستسلام قاتل.

حين توقفت روزي عن النظر إلى وضعها، لم تتصور كيف وقعت في هذا المأزق الحرج مع جاك، من جديد.

ما هو الخطأ الحاصل؟ حين عاد في البداية إليها اقسمت انها لن تدعه يؤذيها ابداً. وها هي الآن تغوص وتغوص في بحر من الالآم كمن يسير مغمض العينين. لماذا وافقت على العيش معه كزوجة، حين اعترف حقيقة انه لا يحبها، انه لا يريد ان يحبها، وأنه لم يشأ حتى ان تحبه؟

كان يكره بازدياد انغماسها في عملها. طالما تحدث مؤخراً عن مشاعره نحوها. لكنه احب انغماس مارغريت في عملها. كان يرى مارغريت باستمرار. ومؤخراً، غالباً ما تحدث عن مشاعره نحوها. وكلما اشارت إلى زفاف والدها كان يغير الموضوع. كان يرفض قطعياً الالتقاء

بوالدها، وادعى ان لديه رحلة إلى خارج البلاد في التاريخ المحدد. لم يدع مجالاً للشك بأن فكرة زواج مارغريت تغضبه كثيراً. وفي الآونة الأخيرة غالباً ما تحدث عن زواجهما، وما يمكن أن يؤول إليه.

كانت روزي تتحرق من الغيرة كلما رأت مارغريت، سواء مع جاك أو مع والدها، لقد غزت خير صديقاتها قلب الرجلين اللذين أحبتهما روزي في حياتها. لم يكن هذا مستحسناً. لو تسنى لهما التريث بعض الشيء لعادت روزي، على الأقل إلى والدها واحتكرت عطفه المخلص. الآن، لم يعد لديها من تتوجه إليه. وها هي تحسد ايما، فايما تعتد بحب جاك لها ورعايته واهتمامه بها طيلة عمرها. وروزي، لا تملك شيئاً من كل هذا سوى عملها. وجاك يلومها على ذلك.

كانت تجلس قرب حوض السباحة تتفحص البلاط في امسية كئيبة حين ظهر جاك. كانت سعيدة لاكتئاب الجو. كان له ان يضفي على البلاط منظراً اكثر جمالاً.

قالت، وهي تطلق ابتسامة زهو: «يبدو بمنظر جيد، اليس كذلك؟»

نظر حوله دون اهتمام، وقال: «عظيم.» كان يتحدث بغير قناعة، كما تعرف من صوته. ثم التفت نحوها وقال بلطف: «تعالي معي الى غرفة عملي. هناك شيء اود مناقشته معك.»

تبعته روزي، وهي تشعر بالاضطراب. كان في نبرته ما يثير الريبة. هل سيطلب منها الرحيل؟ قررت في نفسها، أنه إذا ما طلب منها ذلك فستطلب منه ان يسلفها نقوداً لرصيد

شقة صغيرة. فهو الذي اصر على ان تبقى معه. لو لم تفعل ذلك لأجله، لظلت في بيت اسرتها وهي تعد بابتهاج للزفاف. كان ذاك خطأه، فالعيش مع زوجة والدها الجديدة سيكون جحيماً لا يطاق، وهي لن تشعر بالذنب ابداً إذا ما طلبت منه تسليفها النقود.

جذب المقعد المقابل لطاولته، وترك لها الكرسي في الجهة الأخرى. بدت كل تصرفاته رسمية الطابع.

بدأ كلامه بصوت اجش، وهو يسند ظهره إلى كرسيه ويتفحصها من خلال عينيه المزمومتين. «لقد كتب والدك لايما كي تحضر الزفاف. لكنها لن تأتي.»

«آه...» تأوهت روزي بصوت ضعيف، إذ شعرت بالراحة لأنه لم يأمرها بالذهاب.

«اهذا كل ما لديك لتقولين؟»

رمشت روزي بعينيها: «انه لشيء مخجل. ان والدي سيشعر بالاحباط، انا متأكدة.»

اغلق جاك عينيه لوقت قصير وتابع بنبرة فاترة: «اود لو تكتبي لها هذا وتطلبي بنفسك حضورها.»

«بالتأكيد. سافعل هذا الآن...» كانت ضعيفة، ومجنونة وساذجة للغاية حين ارادت البقاء، معه إذ لم تكن هناك فائدة ترجى من ذلك. لكنها، اقدمت على تلك الخطوة، وحصل ما حصل. بالطبع، لن يدوم ذلك طويلاً، لكنها ربما تشعر بارتياك اقل بعد انتهاء مراسم الزفاف في الاسبوع اللاحق. وعلى الأقل سيبقى البيت خالياً مدة أسبوعين خلال شهر العسل. وبمقدور روزي ان تعود عندها إلى هناك، ربما، إذا اتخذ اخيراً قراره في هذا الأمر. سيعطيها

ذلك تنفساً لبعض الوقت إلى ان تعثر على شقة صغيرة.

فتح جاك درج طاولته واخرج بعض الأوراق. وضع في يدها القلم، ونهض مغادراً.

كان مقعده ما زال دافئاً، حين جلست فيه. مررت طرف القلم على شفتها العليا، قبل ان تفتح الغطاء. انبثقت منه رائحة ممزوجة بعطر ليمون خفيف.

وعندما أحنت رأسها فوق الورقة البيضاء، حكت باحد اصابعها بلهفة ارنبة انفها. ايما، آه، يا عزيزتي. كم تمنت لو كانت لديها اخت محبوبة لتثق بها. تدحرجت دمعة ساخنة على انفها، لكنها مسحتها بمؤخرة يدها.

فكرت بوالدها فغمرتها السعادة كونه سيتزوج مارغريت، والصبر الذي تحلى به امام رحيل زوجته الأولى وابنته. انه يستحق التمنيات القلبية. كتبت قائلة: «عزيزتي ايما. رجاءً، رجاءً، رجاءً ان تحضري.» وعندها تقاطرت الدمعات منهمرة، فلم تعد قادرة على الكتابة، وراحت تخربش بصعوبة: «شقيقتك، روزي.» وادخلت الورقة بعجلة في المغلف واغلقته.

كان هناك حفل سابق للخطبة في فارمرز آرمز قبل يوم العرس، تواجد فيه كل اهل المنطقة. كانت الأكواب قد صفت على طاولة كبيرة، بانتظار المدعوين. تواجد جاك ايضاً بناء على طلب خاص من مارغريت. لم تدر روزي هل تضحك ام تبكي حين اعلن قدومه. لم تقدر على اقناعه بالاقتراب من والدها.

سعادة الزوجين الفرحين كانت جلية لتملأ المكان. كانت روزي تدور على غير هدى وهي تتلقى التهاني بزواجها

من قبل معارفها القدامى. كانت جد منشغلة، وهي تبتسم لتعطي انطباعاً مغايراً كلياً لمشاعرها. بدت الأشياء كأنها ازلية. انه لمشهد يثلج صدر روزي، لكن التيقن من ان مارغريت نجحت حيث فشلت هي كان يكدر هناءها. واخيراً تسللت إلى الخارج لتهدىء من روعتها، ولتلتقط انفاسها. كان الهواء عليلاً ونقياً يخز وجنتيها. عادت ادراجها إلى الداخل وعثرت على جاك.

سألت بوهن: «هل لنا ان نذهب إلى المنزل، ياجاك؟»

نظر اليها ملياً. ثم، على غير توقع، ابتسم ولف ذراعه على كتفها وسار بها نحو السيارة.

سألها: «الم تستمتعي بالحفل، يا روزي؟»

هزت كتفيها: «كان جيداً، لكني اكتفيت فجأة.»

ابقى ذراعه حولها إلى ان جلست بامان في مقعدها، وعندها ابتسم قبل ان يغلق باب السيارة ويأخذ موقعه في الجانب المقابل. لماذا يبدو هادىء البال على غير عادته؟

وحين بدأت السيارة تتحرك، قالت روزي: «جاك، اريد ان اتحدث اليوم. فلا تناقضني وتصر على اتباع طريقتك كالمعتاد. لقد جربنا الأمور على طريقتك، وها هي تسير نحو الأسوأ، وليس نحو الأفضل. ما كان عليّ أن اتحرك الا بعد انتهاء الزفاف، بالطبع. انا لا اريد التسبب لأحد بأي ازعاج في وقت مثل هذا. لكنني انوي الحصول على شقة في دوركستر مجرد ان اقدر على ذلك.»

نظر نحوها واستفسر بلهجة حادة: «ما الذي جلب هذا الموضوع الآن؟»

«آه، يا عزيزي. مارغريت ووالدي، كما اعتقد. هل عرفت

ان والدي نحت خاتماً من الرخام لمارغريت؟ هي لن ترتديه، لكنها لم تمانع في ان يكون بشعاً. هي تقول انه للعرض فقط. هل تتذكر ما الذي قلته حين منحتني الخاتم يوم الخطوبة؟ قلت انه رمز هام. أنا... أنا شعرت بالدهشة لقولك ذلك. اود التفكير انه يوماً ما سيكون... هناك خاتم آخر.» كلفها قول هذا عناء شديداً. «لقد عثر والدي على سعادته للمرة الثانية. هذا ليس مستحيلاً، كما تدري.»

ساد الصمت إلى حين. اندفع جاك بالسيارة عبر البوابة المؤدية إلى الحقل، واوقفها عند المدخل. حين شرع بالكلام، كان صوته عميقاً ورناناً، لكن غير قاس. همس قائلاً: «لا ادري ما اقول...»

تمتمت روزي بنفحة من الأسى: «هذا لسان حالي.»

اصدر صوتاً خفيفاً وقال اخيراً: «لقد أعجبت بوالدك كثيراً. سيكونان هو ومارغريت متحابين.»

«أجل.» وافقته القول، مستغربة تجنبه للموضوع. لم تكن عادته التهرب من المسائل الهامة. تنهد وقال: «لكن عليهما ان يغيرا من طباعهما لتسير الأمور بخير.»

قالت وفي عينيها بريق خافت: «آه... اجل، انهما يدركان الحاجة للتكيف. وهما يحبان بعضهما، لذا سيتمكنان من ذلك. لكن مارغريت ستظل كما هي مارغريت، ووالدي سيبقى على حاله. والتبدلات ستظل سطحية مقارنة مع ما تطلب مني.»

اجاب بهدوء: «لا اظن ذلك يا روزي. لدي فرصة للالتقاء بوالدك اليوم. طالما تشوقت لمعرفة اطباعه، عن مزاجه المتعكر... وامك، هي انسانة محببة جداً. كنت اتساءل عن

طبيعة هذا الرجل الذي تركها تذهب دون ان يحاول ابقاءها. وعندها، عادت ايما لتعطيني انطباعاً مغايراً تماماً. شخصاً ضعيفاً وانانياً ويحب تسيير الأمور على هواه. كانت تلك فكرة غير ناضجة عنه، كونتها عندما كانت يافعة سهلة التأثر.»

«هل كانت ترى والدي على هذا النحو؟ لقد بلغت فقط مرحلة بدأت فيها بالتمرد. اعتدت الوقوف إلى جانب والدي محاولة ان اشرح الوضع... واتهمتني ذات مرة انني واقعة تحت سيطرته، وظننت فقط انها بموقف خاطىء تقول اول ما يخطر على بالها. انا لم أفكر قط بأن هذا هو تصورها حقاً لوالدي!»

«كل منا بحاجة لقطيعة عاطفية عن ابويه في لحظة ما. لا شك انها تجربة صعبة، لو بقيت ايما حيث هي، لا شك ان لها ان تتنبه.»

تمتمت روزي: «لا شك ان ايما اجرت قطيعة في الاسلوب.»

«وانت بدورك كنت صغيرة السن جداً. الا تعتقدين بان لافكارٍ ما ان تتمكن منك وتخدم اهدافهم؟»

«اتريدني ان اتغير يا جاك. اتريد ان اكون اقل مما انا حقاً، واكثر من الشخص الذي ترغبه. لكن الوقوع في غرامك كان خطأ مراهقة. انه ليس شيئاً يمكنني الهرب منه.»

«لم يكن هذا ما قصدته.» قال ذلك، وقد بدت لوهلة في كلماته نبرة قنوط. ادار محرك السيارة، وتابع: «سأشتري لك بيتاً، يا روزي، بيتاً بحديقة خاصة بك. انت على حق، لم يعد هناك ما نتجادل حوله.»

في اليوم التالي، كان على جاك أن ينهض مع اطلالة الفجر، ليسير نحو ميلان لاجتماع هام غير قابل للتأجيل. حين استيقظت روزي عند الساعة الثامنة، كان ما زال إلى جانبها في السرير.

«انني ذاهب معك إلى حفل الزفاف.»

انتهى حفل الزواج وراح الجميع يتجول في الخارج في حين كان المصور يحاول تحقيق الانضباط بين حشد الضيوف الكبار، خفيفي الظل.

التفت ذراع داني حول كتف روزي وقال: «انني سعيد. لقد فعل ذلك جاك لأجلك. انه برهان عن قدر ما يفكر بك. كان اجتماعه مهماً جداً.»

«اجل.» وافقت روزي بصوت ضعيف.

وتمتم قائلاً: «إن ما فعلته ايما لمعيب، ما زالت تكتشف ان كولين هيلاك هو والدها الطبيعي حين كان عمرها فقط سبعة عشر سنة...» طبيعي أن تنظر له اليوم كوالدها الحقيقي بكل معنى الكلمة. من غبائي ان اظل افكر بها كابنتي. لقد اخبرت والدتك في البداية ان الأمر سيان بالنسبة لي... الطفل هو طفل، حين انقضى كل شيء. لكن الأمور لم تكن هكذا بالنسبة للبائسة ايما حين اكتشفت الحقيقة. ارادت ان تكون مع ابويها الطبيعيين، ومن يلومها؟»

إلى هنا كان المصور النشيط يتابع تصوير العريس بينما كانت الزوجة تقف وقفة غزل ممسكة بذراع داني تاركة روزي فاقدة الصواب تتلهى بخيوط الشمس البراقة.

نظرت روزي حولها، فرأت شخص وحيد يجلس قبالة المقدمة كضيف متميز، بشعره البني الفاتح، والقصير حول

وجه شاحب يملؤه النمش. شعرت روزي بقشعريرة تخترق بدنها، لم تكن مهيأة لتواجه ايما الآن تحديداً. ماذا قال والدها؟ كانت متأكدة انها لم تسمع خطأ، لكن لم تكن هناك فرصة لتسأله المزيد. تطلب الأمر وقتاً لتتأكد من حقيقة وجودها. نظرت روزي نحو جاك. بدا من الصعب سبر أغوار ملامح وجهه، وبلهفة واضطراب راحت تشق دربها نحو الطرف البعيد من المكان. بوسعها خلال الاستقبال ان تسأل والدها حول امور اضافية، ومن ثم تتحدث مع ايما حين يصير ذلك ممكناً.

كانت تدور فكرة اخرى في فكر جاك، فقد اطبقت اصابعه على ذراعها وراح يقودها باتجاه المقدمة حيث تجلس شقيقتها. دفع بها إلى الكرسي الكبير بجانب ايما، وتبعها بنفسه، تبادلت روزي وايما نظرات الحيرة والارتباك.

«روزي؟» همست ايما، وعيناها الرماديتان تطفحان بالدموع.

«اوه...» تعثر الصوت في حلقها نتيجة الانفعال.

نظرت ايما مضطربة بعيداً وفعلت روزي نفس الشيء. وعندها ظهرت مارغريت، مبتسمة ابتسامة تشع بالبهجة، بينما بدا داني جذاباً بذقنه الحليق على غير عادة. ابعدت روزي شعرها إلى الخلف عن وجهها. فهما من يجتذب الانظار الآن، هذه هي لحظة العمر. ها هو والدها، عيناه تشعان بهجة ومحبة، يقف إلى جانب زوجته.

كانت تتطلع إلى جاك بين الحين والآخر. كم تمنت لو ينظر إليها جاك كما يتطلع والدها إلى مارغريت، لكنه كان يحدق مسمراً إلى الأمام محافظاً على رباطة جاشه ليوم

طويل. واخيراً، كان الزوجان السعيدان يسيران تحت خيوط الشمس الشاحبة.

التفتت روزي نحو ايما. وسألتها: «لماذا لم تجيبي على رسالتي وتخبريني بأنك آتية؟»

ردت ايما بعصبية: «لم يكن هناك وقت كاف.»

نظرت روزي اليها بعاطفة الفراق الجياشة. ثم اطلقت نحو ايما ابتسامة خفيفة. «انت لست شقيقتي...» وجدت نفسها تتحدث حائرة، لكن متلهفة هذه المرة لترميم كل عمود في السياج المكسور. «هناك مجال للحديث مع والدي... آه... داني، اعني... لأنه، بالطبع...»

انغرست اصابع جاك بقوة في ذراعها. استدارت، مرتبكة، لتواجهه. كانت عيناه مرآتين صلبتين. نظر اليها بملامح قاسية وقال بخشونة: «انا لا استطيع تحمل المزيد من هذا. تعالي معي.»

ادارت روزي رأسها لتنظر إلى ايما، ومن ثم إلى والدها ومارغريت، اللذين كانت تلتقط لهما الصور تحت الجانب المسقوف.

«لا... رجاء... جاك... لا تقلب الأمور رأساً على عقب الآن.»

هذه المرة لم تكن هناك ادنى نية بحفظ ماء الوجه. جذبها بعنف وراءه وخرجا عبر الباب الجانبي. اصبحا في السيارة متوجهين إلى ليتل بورن قبل ان يحس احد، ما عدا ايما، بذهابهما.

ابتلعت روزي غصتها، وقالت: «اما كان لك ان تدعني هناك لأستمتع بزفاف والدي؟»

«لا.»

«جاك، متى التقى والدك بأمي للمرة الأولى؟»

توقفت السيارة بسرعة عند ناصية الطريق. كان وجه جاك أبيض وغاضباً. حدقت عيناه بها ببرود وقساوة. «يا له من سؤال احمق؟» اطلق ملاحظته الساخرة، وتابع يقول: «والآن، اخرسي. فأنا لم أعد اطيق سماع صوتك.»

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

«لكن جاك...»

«اصمتي!» كان صوته يدل على غضب شديد. فعلت ما طلبه منها، خائفة على نفسها من متابعة ازعاجها له بينما يقود السيارة.

وأخيراً اندفعت السيارة بعنف نحو بوابة ليتل بورن ليقف أمام المدخل. كانت شجرة الفرجينيا الزاحفة قد ذرفت وريقاتها الحمراء في ساعات المساء، لتتكسر بقوة خلال سيرهما فيما كان جاك يدفعها نحو البيت.

«جاك، ارجوك، ما الذي يجري؟ انك تؤذي ذراعي... ارجوك...»

«انني اشعر بوجود مشهد لعين أكثر من ذراعك، ايتها السافلة.»

«لا افهم ما تعني...»

«ولا انا. لا ادري كيف يمكن لي التعاطف معك... حتى بعد كل هذا الوقت. حتى حين ادرك انك لن تتغيري. كيف تركتك تتسربين داخلي على هذا النحو؟»

قالت مرتعبة: «جاك! ارجوك، اتركني وشأني.»

تطلع إليها ساخراً، واطلق ذراعها.

لكنها مازالت تشعر بمزيج من الخوف والترقب. هل تهرع هاربة، وقد سنحت لها الفرصة؟ التفت وتفحصها مجدداً، وقال: «تعالي معي. لن اؤذيك.»

«ها قد انيتني.»

هز كتفيه بلا مبالاة: «لن المسك مرة اخرى، يا روزي. ما لك ان تقلقي.»

ترددت حائرة ومصدومة وتبعته، إلى داخل المنزل. راح يصعد السلم. وهو يقول راجياً: «تعالي.»

«أنا... لا، اذا كنت لا تمانع بوسعك قول ما تشاء هنا، تحت، فسأشعر بأمان أكثر.»

تمخض حاجباه عن علامة سخط فاتر. «قلت انني لن ألمسك. انني ذاهب الى الطابق العلوي حيث ترتبين حاجياتك وسأساعدك في توضيبها، وان كنت لا تمانعين فسأوضبها لك بنفسي. سيكون هذا مصدر سروري.»

«أنا...» تحشرجت، وهي تحس بسقم وازدراء للذات. كيف لها ان تكون غبية إلى هذا الحد كي تزج مجدداً نفسها في شجار معه؟ لذا، لحقت به الى الطابق العلوي. شاءت صون كرامتها وتوضيب حقائبها بنفسها لتغادر للتو. فرمي كل ما تمتلكه في هذا العالم على عتبة البيت سيكون مشهداً صعباً لا يطاق.

سألته بفتور بينما هي متوجهة إلى الغرفة: «ما الذي تسبب بكل هذا، يا جاك؟»

لم يقل جاك شيئاً في البداية. اكتفى بفتح باب خزانة الملابس وراح يتناول الثياب ويلقي بها على السرير.

اصرت روزي بلهجة ثاقبة: «اخبرني!»

لكنه اجابها بنظرة لا مبالاة فاترة.

«هل مارغريت هي السبب؟ الا تطيق رؤيتها متزوجة؟ اهذا هو السبب؟»

«ما علاقة مارغريت بهذا؟ قد تكون حبة جوز قاسية، لكن والدك مغرم بها وسيكونان سعيدين. انها فقط مجرد قصة الحب والزواج اليومية، انا احسدها على ذلك. لكن لماذا يمكن لهذا ان يضايقني؟»

«اذاً، ماذا؟ لماذا اجبرتني على مغادرة المكان؟ اخبرني!»

القى جاك الملابس على السرير بطريقة فظة، واستدار لمواجهتها. حملق فيها بغضب شديد فدب الرعب فيها مجدداً. «ما عاد بمقدوري البقاء هناك والاستماع للغير، ولا للحظة اضافية. لم اعد احتمل.»

«ما الذي ما عدت تطيق سماعه، يا جاك؟»

«سماعك أنت... أنت بالطبع بوسعك ان تكوني اعذب الناس على سطح الأرض، لقد شاهدتك وأناساً آخرين مثل والدك، ومارغريت، واوبري... صدمني سلوكك معهم، لا طاقة لي على احتمال ذلك. فأنا مكره على مشاهدة الجانب الآخر، هذه المفارقة... تلك البائسة المخادعة، التي يتقبلها المرء بمرارة ويتمتع بها! لكن لا، يا روزي، لا اقدر على تحمل هذا ومشاهدته من جديد... اشرعي بتوضيب حاجياتك. لا يهمني اين ستمضين الليلة، طالما انك لن تقاسميني ذات السقف.»

قالت بنبرة احتجاج والشحوب يعلو وجهها: «لكن كل ما عنيته...»

«آه، يا روزي... لماذا فعلت ذلك؟ لماذا تصرين على عمل ذلك؟ لماذا تدعين كل شيء يسمم افكارك؟ هذا يغيظني لكن هذا لا يعني شيئاً مقارنة مع ما يفعلون لك. ان هذا يبث في

نفسك السموم. ستكرهيني على اية حال، يا روزي. لا شك انك تلوميني على اذية وهمية كل ايام حياتك. وأنا ثابت في موقعي كمتفرج على المشهد.»

نظرت روزي اليه وعيناها متكورتان وباهتتان من هول الصدمة وصاحت باحتجاج: «لا يا جاك، لقد بدأت ازيل العوائق واضع الأمور في نصابها... لا انكر انني...»

«كنت هناك! لقد رأيت كل شيء، لقد سمعتك!»

كيف لها ان تشرح ذلك؟ ولماذا تريد ذلك وهو يكرهها؟ لماذا تستعطفه؟ وها هو ثغرها يعيد ويكرر: «جاك، ارجوك... ارجوك يا جاك.»

لكنه مر بمحاذاتها بعصبية، وارتطمت ذراعه بها. والتفت لينظر ببرود في عينيها. «لقد اتهمتني مرة انني دربت عيناي لتكذبا عوضاً عني. توسمت ذلك مستحيلاً، لكنني كنت على خطأ. لقد حققت أنت ذلك. لكن ليس عيناك فقط بل كل وجهك، يا روزي، كل هذه البراءة الجريحة على ثغرك... لكن هناك... هناك في قلبك حيث المهم لا يوجد شيء سوى قبضة من حجر صلد. مانعت في تصديق ذلك لردح طويل من الوقت. لكنني الآن، يا روزي اصدق ذلك، لن تخدعيني مرة اخرى، لقد انتهى كل شيء. فقط اريدك خارج هذا المنزل، خارج حياتي، والافضل بظرف الدقائق الخمس التالية.»

قالت بصوت متهدج: «جاك انصت إلي. حين التقيت ايما...»

الا انه قاطع محاولاتها للشرح. وقال بغضب: «آه، اجل آسف. تذكرت الآن احطت شقيقتك بذراعيك، وطلبت منها ان

تسامحك وتنسى. لقد فهمت كل شيء خطأ، أليس كذلك؟»

«لا. اعني... اجل، اعني لم افعل هذا حقاً لكني كنت سأفعل ذلك لو تركتني وحيدة لبضع دقائق اضافية.»

ارتسمت على وجهه معالم احتقار واضحة. ثم قال: «والآن صرت تجيدين الكذب. على الأقل، حتى هذا الوقت صدقت باخلاصك.»

«أنا مخلصة.»

قال بصوت اجش: «لا تحاولي. لقد اعتقدت بايذائك لي حين هجرتني في الماضي. حين قلت انك لا تحبينني، وفقط تريدين استخدامي... اقنعت نفسي بصغر سنك، صغيرة لتربطي نفسك برباط الزواج، صغيرة لتدركي مدى حاجتي لك، او لتدركي معنى الحب الحقيقي. ظننت انك ستكبرين، يا روزي، انك ستتذوقين طعم الحياة في الجامعة حين تلتقين برجال اخرين. وعندها ستعودين ادراجك نحوي وستدركين كم هو خاص ما كنا عليه. لكن حين لم تأت، فكرت... من يهمه بماذا افكر؟ وقررت، ان لم تكن الحياة قد فتحت عينيك، سآتي لأفتحهما بنفسي. كنت مليئاً بالأمل، كنت متيقناً لحاجتك للحب والوقت لتندمل كل جراحك، لكنني كنت على خطأ. لذا لا تكذبي بوجهي يا روزي. دعيني من هذا على الأقل، فقط، اذهبي الآن قبل الحاق اي ضرر إضافي بي.»

«كفاك!» ضمت قبضتيها ورفعتهما لجبينها وامسكت بهما من عند صدغيها. «كفى! كفى!» وراحت تبكي وصوتها ينشج ألماً. «ارجوك، يا جاك، انصت!»

«لا.» وتوجه مرة اخرى إلى خزانة الملابس.

كانت روزي ترتعش عاجزة عن الوقوف. مشت خطوات قليلة وجلست على حافة السرير.

لم تحاول حمله على السماع مجدداً، ما من فائدة ترجى. فحقده عليها، لا جدال فيه، مهما قالت لن تكون لذلك فائدة، وربما سيكون من الاسهل بعد الرحيل، ان تدرك انه لا يوجد امل، لا فرصة على الاطلاق. جلست مسمرة في مكانها، تحاول التقاط انفاسها، تكابد عواصف النحيب التي اجتاحتها.

«يا لك من بائسة. جالسة هناك، تائهة، تستدرين العطف. لكنك لن تخدعيني، يا روزي. لن تخدعيني مرة اخرى.»

«متى... متى التقى والدك بأمي للمرة الأولى؟»

رمقها جاك بنظرة تقزز: «ما لعلاقة هذا بالأمر؟»

«ارجوك، اتوسل اليك، يا جاك... فقط اجبني.»

«لا ادري. منذ وقت طويل. كنت في الثامنة أو التاسعة، حسبما اعتقد.»

«وايما، اهي ابنة والدك؟»

صاح بغضب: «توقفي! ما هذه الا مناورات تسويف ومماطلة، اليس كذلك؟ أنت تعرفين كل هذا تماماً. الآن، وضبي حاجياتك...» وانتشل حفنة من المفاتيح من جيبه وراح يفتح الحقيبة.

كانت الحقيبة التي يستعملها عادة، وكانت قد جهزت استعداداً لرحلة ميلان. راح يخرج ملابسه ويطرحها ارضاً. تكرر صوت ارتطام الاشياء بالأرض. وبين اكوام القمصان والجوارب لمحت حقيبة جلدية حمراء. انها حافظة مجوهرات والدتها.

«آه..» صاحت مشدوهة، وارتمت على ركبتيها محاولة الوصول اليها. مازال المفتاح الفضي الصغير في القفل.

ركله بمقدمة قدمه: «انه لك، على ما اعتقد. كله لك يا روزي. لقد حملته معي لأربعة اعوام كاملة. بانتظار قدومك لتطالبي به. وطيلة هذه الاسابيع انتظرت ان تطلبي الخواتم لتعيديها لاصابعك. يبدو انك لست بحاجة اليهم بعد.»

وبلا وعي ادارت المفتاح في القفل. هناك بالأعلى، كانت علبة بيضاء مفتوحة، وخواتمها لمعت ببريق خافت. اغلقت العلبة وتطلعت غاضبة نحو جاك.

«اسمعني... جاك، رجاء، اسمعني.»

لم تكن روزي تعي ما ستقوله. لكنها فجأة أحست نفسها تناضل لصون مصيرها. اما ان تعثر على الكلمات المناسبة الآن، أو تفقد إلى الابد الرجل الذي احبت.

قالت: «احبك، ياجاك... احبك كثيراً.»

صرخ بها: «إذاً، تواصلين الترداد. ما كان لهذا الحب من معنى، إذ تبخر لحظة رأيتني مع ايما.»

«لقد ظننتكما حبيبين! انت تعرف ذلك! حتى حين اكتشفت أنني على خطأ.»

حرك رأسه بفتور: «انه تماماً كما قلت. انه حب بائس يا روزي وهذا واضح. كيف تفكرين بمجرد وضع ذراعي على ايما بكوننا حبيبين؟ كيف لك بهذا التفكير الساذج؟»

وقفت روزي على قدميها ودنت منه، متحدية نظراته، وقالت: «لقد تخيلت امراً اسوأ من هذا. هو شيء قالته ذلك اليوم. وبالطبع إذ لا اعرف حقيقة كونكما أخاً وأخت، بدا

لي من السخف ذكر ذلك. فأنا لم اكن لأجرؤ على تصديق ما سمعت. عليك أن تصدقني، يا جاك، حين اقول ما سمعت ستدرك مغزاه.»

توقفت لتلتقط انفاسها مجدداً. «أنا... أنا اعتقدت بزواجك مني لأن ايما كانت عاقراً. انك تريد مني حمل الطفل الذي ما بوسعها انجابه.» وابتلعت غصتها.

قال متأوهاً: «آه هذه قمة السخافة. اما بوسعك ابتداع اكاذيب افضل، يا روزي؟»

«ليست كذبة!»

تنهد وقال: «حسناً. إذا كانت ايما عاقراً، فأنا اسمع بهذا لأول مرة. فهي دائماً تخطط لعائلة كبيرة حين يحين وقت ذلك. وأنا تحديداً لا اذكر رجاءها لي لاقناعك بالحمل نيابة عنها! كل ما كانت تود معرفته هو متى سأبحث الأمور بينكما ليتسنى لها نقل تهانيها القلبية.»

قالت منتحبة بيأس: «كانت إيما مصابة بالزائدة الدودية. لقد قرأت حول هذا... على اية حال، ظننتها عاجزة عن انجاب الاطفال. اترى... آه، يا جاك، فكر قليلاً حاول ان تتذكر ما قالته ذلك اليوم. ارجوك تذكر.»

مرتعبة من ملامح وجهه الفظة، امسكت بقميصه، وعقدت اصابعها، وحاولت ان تهزه لكنه بقي مسمراً كالجلمود. قالت: «جاك، قالت هي... آه، رجاء، حاول ان تتذكر... سألتك ايما هل هي حامل ام بعد؟ وانت قلت صبراً، صبراً. عندها قالت اعرف ان هذا ضرب من السخافة لكن لا يمكنني أن انتظر لتكون... حسناً، لا بد أن اكون افضل عمة حين يحين الوقت، اليس كذلك؟

سيكون طفلك، يا جاك، وليس طفل روزي فقط. آه، ايا كان يمكن أن يكون له ابن أخ او أخت مشترك، لكن هذا الطفل سيكون عملياً ملكي، الا توافقني؟ الا تلومني لكوني متحمسة لهذا المشروع؟ آه، لا اقدر على الانتظار كيما نصبح نحن الثلاثة سوية.» خفت صوتها واصبح كالهمس. «آه، فكر، يا جاك، ارجوك فكر. عليك أن تتذكر... آه، ارجوك.»

«كيف؟ كيف تتذكرين كل هذا؟ لقد نسيته تماماً.»

سارت روزي متعثرة نحو السرير وجلست على حافته، وهي ترتجف عاجزة عن تمالك نفسها: «كان ذلك مهماً جداً بالنسبة لي. في نفس الوقت، ولأكون مخلصة، لم ادرك تماماً معنى كل ذلك إلى ان اطلعت على الحقيقة في ما بعد. اترى، كانت تلك الكلمات التي اثارت حنقي ودفعتني لرميك بكل الخواتم ولأكرر ادعائي بكرهك حين اقتحمت حياتي من جديد. اترى الآن لماذا كنت حادة جداً. ولماذا عنى اكتشاف الحقيقة فارقاً كبيراً بالنسبة لي؟»

اقترب منها متثاقلاً وجلس بجانبها على طرف السرير، وهو عابس. وقال: «لماذا لم تخبريني؟»

رمقته بنظرة حائرة. «توجب عليّ ذلك لو أحببتني ايضاً، لكن حين اخبرتك اني احبك من جديد بدوت بارداً وبعيداً، ادركت عندئذ انك لا تحبني. ما بدت لي وسيلة لتركيب الكلمات التي قد تعني حتفي. ما لي قدرة على اخبارك حول مدى خطأي بالتقدير. تخوفت من استيائك وطردك لي.»

«لم أقم بطردك.»

«الا تقدم على ذلك؟ انت تطردني الآن، يا جاك.»

اقر بسكينة: «فعلاً. اخيراً عرفت كنه الأمر بالنسبة لك... لنا... لكني لم افعل ذلك.»

«إذاً، هل كان للأمر ان يتبدل لو اخبرتك بكل هذا الكلام من قبل؟»

«لا. ليس في الواقع. او على الأقل، لا اظن هذا. الأمور صارت قابلة للفهم اكثر، اقصد، افهم سبب قساوتك حين غادرتي، سبب تفوهك بكل تلك السفاهات. لكني لا اصدق انك تبدلت حقاً يا روزي. بودي تصديق ذلك، كنت أقنع نفسي كل هذاالوقت بأن الأمور ستسير على ما يرام، لكن ذلك لم يجد نفعاً. اتتذكرين اول يوم حين كنت متسرعة جداً بالحكم على والدتك؟ كل ما قلته حول سعادتها البالغة؟ ادركت حينها ان المرارة تغوص في اعماقك، يا روزي. لكنك كنت هشة شديدة الحساسية حينئذ، وايما كانت على معرفة بحنقك عليها، وخصوصاً انك بقيت وحيدة مع والدك. تذكري، ظننت ان والدك انسان صعب المراس آنذاك. الآن، اعرفه خلاف ذلك، وكل شيء يدل على انه لم يكن هناك مجال لشيء آخر، ليس حبه لك كافياً لدمل جراحك المفتوحة. وبمجرد التقائي به عرفت انني احارب لأجل قضية خاسرة.»

«آه، يا جاك. لا ادري ماذا اقول. لقد قلت ما قلت عن والدتي اول يوم لرغبتي بالتأثير عليك. هذا كل ما في الأمر.»

«لكنك، ياروزي عاجزة عن الصفح لايما. لقد كبرت الآن، ولم تعد بحاجة لحمايتي. لذا لا يهمني شعورك

نحوها، لكن صلب المشكلة هو ما اراه في عينيك من حقد نحوها، اليس كذلك؟ لقد توسلت لك لتضعي جانباً كل هذه المرارة لتحرري نفسك ولتعلمي ماهية الحب الحقيقي. الطريقة التي احببتك بها كل هذه السنوات، يا روزي. لكن ليس بوسعك التغيير. وحتى لو فعلت ذلك، فلن تحبيني على النحو الذي ارغبه... لا طاقة لي بحياة ثانية افضل. لقد حاولت ذلك عبثاً.»

همست روزي: «جاك لقد اكتشفت اليوم ولأول مرة ان ايما هي الطفل الطبيعي لوالدك. تصورت في السابق انها شقيقتك... ليست اختك. الآن ادركت لماذا طلبت من والدتي ان تعطي قلبها فرصة. وسامحتها على كل شيء... اذ لم يبد لي وجود شيء للصفح عنه، بالطبع.» انتصبت واقفة وتنهدت عميقاً: «لا اتوقع منك تصديق ذلك، او لتدرك تحديداً ماذا يعني، لكنني استطعت أخيرا قول ما يجول في فكري. ولقول الحق، بوسعك تمرير هذه الرسالة إلى ايما.» انهارت يداها فجأة ونظرت إلى جاك، بذلت كل طاقتها بحثاً عن الكلمات المؤاتية لحظة توضيب كل ملابسها في الحقيبة.

حدق جاك ملياً بها، وراح التوتر الذي شد عضلاته ينفرج، وارتفعت يده لتمسح على وجهه.

«ها أنا اتحقق من الأمر... اتعنين ان ايما بدت لك مسؤولة عن تقطيع اوصال عائلتك؟ وبدون سبب وجيه؟»

«أجل.»

«آه. يا روزي.» اطلق تنهيدة عميقة: «لم اكن اصدق حبك لي بالقدر الذي أبديته، خصوصاً انك لم تدعي الماضي

وشأنه من اجلي. هل ستتبدلين؟ هذا ما قلت، مرة.»

«أنا... اتغير؟ اهذا ما عنيته بتغيري؟»

«اجل. هذا ما اردته لك. لتنفضي عنك كل هذه التأثرات بالطبع. توسمتك تعرفين دواعي ايما للذهاب، ولذا اعتبرت موقفك ارعنا. لكن... حسناً. كان لك ان تدركي ماارید وما الذي اقصده بكلامي؟»

«يا لها من مصيبة. لم افكر انك عنيت هذا اطلاقاً. لا حاجة لتبديل مشاعري، كما ترى. لقد احببتك، ولم اقدر على ذلك. وبالتأكيد لم اكن ارضى عن هذا الشعور تجاه ايما. لكن لم تكن هناك خيارات اخرى بالنسبة لي. لم أتصوّر أن تتوقع مني المقدرة على التغير.»

«روزي!» لأول مرة شعرت بنبرة تلهف وحيرة في صوته.

«ظننتك تريدني نوعاً ما... حسناً، لتمضية وقت ممتع مع رجل مثلك. اترى، حين اعجبك ثوبي الأصفر قلت انني سأصبح حادة وباردة. ظننتك تحبذ هذا. ورغبت لو اذهب إلى الجامعة، مما قد يجعلني اكثر حدة وبرودة في عينيك. وددت لو اشتري ملابس كثيرة واترك العمل واتفرغ للحديث عن المسائل العادية. تخيلتك تأمل مني التحول إلى سيدة مجتمع مخملي في غاية الزهو والاناقة. تعرف ما اقصد. تلك النوع من النسوة اللواتي لا هم لهن سوى تقليم اظافرهن واحياء الولائم طيلة الوقت. ظننتك تريدني مجردة من نفسي. بعد كل هذا، تغيرت أنت. اعني، اصبحت لديك السيارة الرياضية، وصرت تضحك وتجلب لي باقات الورد البري وما شابه. والآن اصبحت رجل اعمال قاسي القلب يقود سيارته بخشونة، يتناول الاطعمة

المختارة من المطاعم الملائمة، ويبدو في عداد الاشخاص البارزين بجاذبيتهم واناقتهم. الا تتذكر ذلك المطعم الصيني، يا جاك، حيث لم نعرف كيف نأكل ذلك الطبق الخاص، وكان عامل المطعم مؤدباً جداً. لم يقل شيئاً، ورأينا ذلك الزوج على المائدة المجاورة وهما يأكلان باصابعهما وضحكنا لأننا طلبنا العيدان خطأ؟ هكذا كنا حينذاك... منشرحين ومنفتحين سوية. الآن، احس نفسي لا اعرفك.»

«على اية حال، لنعد إلى صلب الموضوع لحديثنا، اعتقدت انك تحبيني، لكنك متعلقة بي كزوجة، وتريدين مني تبديل نفسي لأتناسب واياك... الآن، يبدو كل هذا منطقياً.»

«لماذا تتركني ألف وأدور في كلامي، يا جاك؟ عادة لا تطيق سماعي حين اشرع بالحديث على هذا النحو.»

حدق بثبات في عينيها. ووضع يداه على كتفيها، ممسكا بها باحكام لكن برقة، ثم وقف واوقفها معه. ابتلع غصته، وقال: «لأنني احبك حين تتكلمين هكذا. تابعي الحديث، يا روزي. تابعي الحديث كما عهدتك»

همست حائرة: «لا أدري ماذا اقول.»

تمتم قائلاً: «هل نوفر الحديث لحين آخر؟ وتابع قائلاً: «متى بدأت تحسين بالحماس لعملك، نسيت ان تكوني باردة وبعيدة، وصرت تثرثرين بكثرة، تماماً كما فعلت منذ لحظات. كنت، روزي، المتحدثة، روزي الحقيقية التي عرفتها بكل انفاسها، التي ظننت انني لن احصل عليها ابداً. انا لا اتلذذ بتعذيب نفسي. يا روزي.»

«أنا... آه... يا عزيزي.» راحت ذقن روزي ترتجف بوضوح، وعيناها تبرقان بشدة. ها هي تسمع كلماته في اذنيها، وتصدقها في قلبها. وتركت ليدها ان تفعل ما تمنته دائماً مذ وضعت عينيها عليه خلال كل هذه الاسابيع الماضية. واغمدت اصابعها في شعره لترسم خطوطها في الخصلات الداكنة. واغلقت عينيها، تاركة لدموع الارتياح العذبة ان تتسلل من بين اهدابها.

ضمها إليه بعطف بالغ ففاضت دموعها.

حدق في عينيها، ومن ثم ببطء استدار وعبر الغرفة، واتجه ليفتح حقيبة المجوهرات، ورجع اليها وبيده العلبة الصغيرة البيضاء. «عمل رمزي.» تمتم وهو يدخل خاتم الالماس والزفير باصبعها، وهو يقول: «لكل الأيام والليالي الموعودة في ما بيننا.»

تمتمت قائلة: «في ما بعد سأرد لك الجميل على حسن ما صنعت. لكن إذا تغيبنا مرة اخرى عن عرس والدي، فلن اسامحك على ذلك ابداً.»

وعندها ابتسمت، وابتسم هو، وظلا يبتسمان طيلة الطريق إلى حفل الاستقبال.

«تعالي معي.» طلبت مارغريت من روزي وهي تمسك بيدها. «اريدك ان تأخذي هذا لوالدك كي يشاهده.»

قالت روزي بمكر. «حسناً يا اماه.»

حضر داني تلك اللحظة واخذ زوجته الجديدة من ذراعها: «إلى اين ذهبت مع جاك، يا روزي؟ لقد خسرتما مشاهدة الاجزاء الجميلة من الحفل.»

هزت مارغريت رأسها وقالت: «لا يهم أين ذهبا. فلدى

روزي شيء تريد ان تريك اياه.» وعندها دفعت بيد روزي اليسرى على انف والدها. وقالت ساخرة: «هذا، يا داني، يا عزيزي ما اسميه خاتم خطوبة. خذ ملاحظة بالأمر.»

قالت روزي بصوت جاف: «الا تريدين الخاتم، يا مارغريت، ها انا ارى...»

راحت مارغريت تبحث في حقيبتها البيضاء الصغيرة واخرجت قفازاً للعمل في الحدائق. فتحته لتكشف عن الخاتم الرخامي مشدوداً على الاصبع الثالث. وقالت بصوت حازم: «شعرت انه لا بد ان يأخذ موضعه الطبيعي.»

تمتمت روزي: «الآن، إذا فرغتما من مشاهدة خواتمي، فاسمحوا لي، سأذهب للبحث عن زوجي.»

علقت مارغريت: «حسناً تفعلين. لا تدعي رجلاً مثل هذا يغيب عن ناظريك طويلاً، فاربع سنوات كانت كافية.»

راحت روزي تلف وتدور بكل الارجاء إلى ان عثرت على جاك جالساً في إحدى الزوايا، يرتشف الشاي مع ايما.

ابتسم جاك وقال: «كنت اشرح لايما السبب الذي يمنعنا من دعوتها لقضاء العطلة السنوية عندنا.»

ردت ايما بدفء: «ارى ذلك مناسباً. بوسعي ان افهم لماذا تريدان تمضية العطلة الأولى لكما سوية في جزيرة بالمحيط الهندي عوضاً عن تمضيتها معي. ولا بأس في ذلك، فأنا لا ارى اسوأ من تمضية هذه العطل بصحبة عصفوري حب متعانقين.»

تبادل روزي وجاك نظرات الحب فيما كشرت ايما.

«لا تصدقوا هذا. بوسعكما البقاء في الجزيرة إلى الأبد.

لقد دعاني والدي ومارغريت إلى منزلهما. اتوقع تواجدكما بحيث تنهي العطلة السنوية سوية في شمل العائلة.»

ابتسمت روزي برقة امام شقيقتها: «همم. لقد سرقت مني الفكرة. فأنا كنت سأقترح الذهاب إلى ايطاليا في السنة المقبلة.»

ضحكت ايما: «أنت لن تبدأي شجاراً عائلياً حول الموضوع؟»

طلب جاك ببرود: «اخبريني! اخبريني الآن أو سأغضب منك بقية حياتي.»

حكت وجهها وقالت بصوت احتجاج: «لا اقدر. ستظن انني مجنونة. كل شيء يبدو سخيفاً الآن.»

«روزي. لقد تسببنا بضرر كبير لنفسينا لرفضنا البوح بما نكن. الآن سأنفذ عهدي. اعدك ما لم...»

«حسناً. حسناً، أنا اقبل. لم ارد ان تلتقي به لأن...»

توقفت لتطلق ضحكة عالية. قالت بلهفة: «ظننت انك تتآمر وايما لتبعد والدي عني. وشئت توفير الحماية له من طرقكما الشريرة.»

الصوت الذي انطلق منفجراً من حلقه لم يكن ليختلف عن ما تطلقه مارغريت. انهار على الوسائد وهو يضحك بلا هوادة. «تابعي. اخبريني المزيد عن هذه المؤامرة.»

قالت مستهجنة، مستغلة مرحه لتقول ما تشاء «ولِمَ لا أفكر بهذا؟ كنت قاسياً معي. كنت تقول اشياء مقيتة.»

«هراء.» تمتم قائلاً دون ان يستجيب لتحرشها.

قالت روزي بسعادة: «كم كنت تحب المزاح. وإذا فعلت ذلك مرة فستعيده مرة اخرى. ما علي الا أن ادربك.»

وهمهم جاك وهو يستند بمرفقه على الوسادة قائلاً: «ما رأيك لو انجبنا طفلاً كثير الحركة. لتكن فتاة، تعرفين انهن يثرن متاعباً اقل من الصبيان...» عانق روزي وهو يضحك بقوة.

تمـــت

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة